

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي



التوحيد

للفيف الثالث الثانوي

قسم العلوم الشرعية والعربية
(بنين)



طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ

٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

يوزع مجاناً ولا يُتباع

- قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
- هذا الكتاب وطبعه على نفقتها



المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

التوحيد

للفصل الثالث الثانوي

قسم العلوم الشرعية والعربية

(بنين)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية، وزارة التربية والتعليم
التوحيد؛ المصنف الثالث الثانوي: قسم العلوم الشرعية والعربية -
ط ٣ - الرياض -
١٥٠ ص ٢١١ x ٢٣ سم
ردمك: ٢-٦٩-١٩-٩٩٦٠
١- التوحيد-كتب دراسية ٢- التعليم الثانوي-السعودية-كتب
دراسية أ- العنوان.
ديوي ٢٤١ ١٣٩-١٩

رقم الإيداع: ١٩/١٣٩٠

ردمك: ٢-٦٩-١٩-٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمة وفائدة كبيرة فحافظ عليه
واجعل نظافته تشهد على حسن سلوكك معه

إذا لم تحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتك الخاصة في آخر
العام للاستفادة فاجعل مكتبة مدرستك تحتفظ به ...

موقع الوزارة

www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج

www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية

runit@moe.gov.sa

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لوزارة التربية والتعليم

بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس العام

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٢	خطر الكهنة والسحرة والعرافين على الناس	٧	الفصل الدراسي الأول
٥٥	الرقى والتعائم	٨	محتويات الباب الأول
٥٨	الطيرة	٩	الانحراف في حياة البشرية
٦٠	تقديم القرابين والتذوق والهدايا للمزارات	١٢	الشوك: تعريفه - أنواعه
٦١	والقبور وتعظيمها	١٣	أنواع الشرك
٦٣	مخالفة الناس سنة النبي ﷺ في القبر	١٧	نقض شبهات المشركين التي يتعلقون بها في تبرير شركهم
٦٤	تعظيم التماثيل والتصبب التذكارية	٢٠	الكفر: تعريفه - أنواعه
٦٥	الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته	٢٣	النفاق: تعريفه - أنواعه
٦٦	من صور الاستهزاء	٢٧	الجاهلية
٦٧	ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم	٢٩	الفسق
٧٠	الحكم بغير ما أنزل الله	٣٠	الضلال
٧٢	حكم من حكم بغير ما أنزل الله	٣١	الردة وأقسامها وأحكامها
٧٤	الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والمادية	٣٢	التكفير
٧٤	أثر الحزبيات في تفريق المسلمين	٣٧	محتويات الباب الثاني
٧٧	النظرة المادية للحياة	٣٨	شرك الخوف
٧٩	النظرة الصحيحة للحياة	٤٠	شرك المحبة
٨١	الفصل الدراسي الثاني	٤٣	شرك التوكل
٨٢	الحلف بغير الله والتوسل والاستعانة بالمخلوق	٤٥	ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما
٨٢	حكم الحلف بغير الله	٤٥	تعريف التنجيم
٨٣	التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى	٤٧	الاستسقاء بالأنواء
٨٥	حكم الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق	٤٩	نسبة النعم إلى غير الله
٨٨	سوء الظن بالله	٥١	السحر والكهانة والعرافة
٩١	سب الدهر والريح		
٩٤	قول (لو) في بعض الحالات		

تابع الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٧	مكاتب الولاء والبراء في الإسلام	٩٦	محتويات الباب الثالث
١١٨	من لوازم موالاة المؤمنين		محبة الرسول ﷺ وتعظيمه والنهي عن الغلو
١٢٠	الفرق بين المداينة والمداينة	٩٧	والإطراء في مدحه وبيان منزله ﷺ
١٢١	نماذج من الولاء والبراء	٩٩	حكم بيان منزله ﷺ
١٢١	الاستعانة بغير المسلمين	١٠٠	تعظيم سنته ﷺ
١٢٢	التعامل مع غير المسلمين	١٠١	طاعته ﷺ والافتداء به
١٢٣	نماذج من التعامل مع غير المسلمين	١٠٢	شدة الحاجة إلى معرفة سنته ﷺ
١٢٥	محتويات الباب الخامس	١٠٣	الصلاة والسلام على الرسول ﷺ
١٢٦	تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها	١٠٤	فوائد الصلاة على النبي ﷺ
١٢٧	حكم تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة		فضل أهل البيت وما يجب لهم من غير جفاء
١٢٩	ظهور البدع في حياة المسلمين	١٠٥	ولا غلو
١٣٠	الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع ومقاسمها	١٠٦	مذهب السلف في أهل البيت
	موقف الأمة الإسلامية من البدعة ومنهج السلف في الرد		فضل الصحابة وما يجب اعتقادهم ومذهب أهل
١٣٣	عليهم	١٠٧	السنة والجماعة فيما حدث بينهم
١٣٦	نماذج من البدع المعاصرة	١٠٨	تفاضل الصحابة
١٣٦	الإحتفال بمولد النبي ﷺ		مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة
١٣٨	التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص	١٠٨	من القتال والفتنة
١٣٩	البدع في مجال العبادات والتعزيب إلى الله		من مسالك أهل البدع وأعداء الدين استغلال ما
١٤٠	خطر البدع	١١٠	حدث بين الصحابة
١٤١	ما يعامل به البدعة	١١١	النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى
١٤٢	محتويات الباب السادس	١١٤	الفرق
١٤٣	مذهب السلف في كرامات الأنبياء	١١٧	محتويات الباب الرابع
١٤٤	صفات أهل السنة والجماعة	١١٧	الولاء والبراء (تعامل المسلم مع المسلم وغير المسلم)
	مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل	١١٧	تعريف الولاء والبراء
١٤٦	السنة والجماعة		

الفصل الدراسي الأول

الانحراف في حياة البشرية ولمحة تاريخية عن الكفر والشرك والنفاق

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول	: الانحراف في حياة البشرية .
الفصل الثاني	: الشرك - تعريفه وأنواعه .
الفصل الثالث	: نقض شبهات المشركين التي يتعلقون بها في شركهم .
الفصل الرابع	: الكفر - تعريفه وأنواعه .
الفصل الخامس	: النفاق - تعريفه وأنواعه .
الفصل السادس	: الجاهلية .
الفصل السابع	: الفسق .
الفصل الثامن	: الضلال .
الفصل التاسع	: الردة : أقسامها ، أحكامها - التكفير .

عبادة الله تعالى هي الغاية:



خلق الله الخلق لعبادته، وهما لهم ما يعينهم عليها من رزقه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ (٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٣).

التوحيد هو الفطرة:



والنفس بفطرتها إذا تركت كانت مُقِرَّةً لله بالإلهية مُحِبَّةً لله تعبد به لا تشرك به شيئاً. فالتوحيد مركوز في الفطر والشرك طارئ ودخيل عليها، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (٤).
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (٥).

فالأصل في بني آدم التوحيد والدين والإسلام من عهد آدم عليه السلام ومن جاء بعده من ذريته قروناً طويلة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (٦).

بداية الانحراف في تاريخ البشرية:



وأول ما حدث الشرك والانحراف عن العقيدة في قوم نوح عليه السلام، فكان هو أول رسول، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (٧).
قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام.

(١) (الأنبياء: ٥٦-٥٨) من سورة الأنبياء.

(٢) (الأنبياء: ٣٠) من سورة الأنبياء.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب (١٠) أسلم النبي فمات هل يلقى عليه وهل يعرض على النبي الإسلام ج ٢ ص ٩٢ ومسلم كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكمه.

مؤيد إبطال الكفار وأهل البيت حديث رقم ٢١٥٨ تصانيف ٢٧-٢٨.

(٤) (البقرة: ١٧٣) من سورة البقرة.

(٥) (البقرة: ٢١٣) من سورة البقرة.

قال ابن القيم : وهذا القول هو الصواب قطعاً فإن قراءة أبي بن كعب (يعني في آية البقرة) : **(فاختلفوا فبعث الله النبيين)** ^(١)، ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى : **(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا)** ^(٢) . فبعثة النبيين سببها الاختلاف عما كانوا عليه من الدين الصحيح .

وكان العرب بعد ذلك على دين إبراهيم - عليه السلام - حتى جاء عمرو بن لُحَيّ الخزاعي فغيّر دين إبراهيم وجلب الأصنام إلى أرض العرب وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فعُبدت من دون الله وانتشر الشرك في هذه البلاد المقدسة وما جاورها، إلى أن بعث الله نبيه محمداً خاتم النبيين - ﷺ - فدعا الناس إلى التوحيد واتباع ملة إبراهيم وجاهد في الله حق جهاده حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم وكسر الأصنام وأكمل الله به الدين وأتم به النعمة على العالمين، وسارت على نهجه القرون المفضلة من صدر هذه الأمة، إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة ودخلها الدخيل من الديانات الأخرى فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة بسبب دعاة الضلال وبسبب البناء على القبور متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين وادعاء المحبة لهم حتى بنيت الأضرحة على قبورهم، واتخذت أوثاناً تعبد من دون الله بأنواع القربات من دعاء واستغاثة وذبح ونذر لمقاماتهم .

وسمّوا هذا الشرك توسلاً بالصالحين إظهاراً لمحبتهم وليس عبادة لهم بزعمهم، ونسوا أن هذا هو قول المشركين الأولين حيث يقولون : **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)** ^(٣) .

ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديماً وحديثاً فالأكثريّة منهم يؤمنون بشوحيذ الربوبية وإنما يشركون في العبادة كما قال تعالى : **(وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا بُرْهَانًا بِمَا هُمْ مُشْرِكُونَ)** ^(٤) .

ولم يجحد وجود الرب إلا نزر يسير من البشر كفرعون والملاحدة الدهريين والشيوعيين في هذا الزمان، وجحدوهم به من باب المكابرة وإلا فهم مضطرون للإقرار به في باطنهم وقرارة نفوسهم، كما قال تعالى : **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُظْمًا)** ^(٥) .

وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد، وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لا بد له من مدبر حكيم قدير عليم، من أنكره فهو إما فاقد لعقله أو مكابر قد أغنى عقله وسفه نفسه وهذا لا عبرة به .

(٢) الآية (٣) من سورة الفرقان .

(١) الآية (١٨) من سورة يوسف .

(١) الآية (١٨) من سورة يوسف .

(٤) الآية (١٤) من سورة النحل .

(١) الآية (١٨) من سورة يوسف .

السؤال

س ١ : لماذا خلق الله الخلق مع الاستدلال على ذلك؟

س ٢ : اختر الإجابة الصحيحة:

- (أ) الإنسان مفضل على الخير والشر .
 - (ب) الأصل في بني آدم الشرك فبعث الله النبيين لدعوتهم إلى التوحيد .
 - (ج) كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام .
 - (د) جاء قصي بن كلاب فغير دين إبراهيم الذي كان عليه العرب .
 - (هـ) أول من عبد الأصنام وجلبها إلى جزيرة العرب قبيلة خزاعة .
- س ٣ : ما المراد بالإيمان في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ ؟

(أ) تعريفه :



الشرك هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، والغالب وقوع الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة.

خطر الشرك وعظمه :



الشرك أعظم الذنوب وذلك لأمر:

- ١ - لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحداً فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١).
- والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها وذلك أعظم الظلم.
- ٢ - أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٢).
- ٣ - أن الله أخبر أنه حرم الجنة على المشرك وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ شُرَكَائِ اللَّهِ فَقَدْ هَرَماً اللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا لَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٣).
- ٤ - أن الشرك يحبط جميع الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).
- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحِطَّنَّ عَمَلُكَ وَلَكِنْ كُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥).
- ٥ - أن المشرك إذا قاتل المسلمين يكون حلال الدم والمال، أما إذا لم يقاتل المسلمين فلا يعتدى عليه كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْسِدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ﴾ (٦).

(١) الآية (١٧١) من سورة المائدة.

(٢) الآية (٤٨) من سورة النساء.

(٣) الآية (١١٣) من سورة المائدة.

(٤) الآية (١٧١) من سورة المائدة.

(٥) الآية (١٧١) من سورة المائدة.

(٦) الآية (١٧١) من سورة المائدة.

أما الكافر الموجود في بلاد المسلمين التي فتحوها أو من جاء من الكفار إلى بلاد المسلمين لعمل أو تجارة وأعطوا العهد والأمان فهؤلاء لا يجوز الاعتداء على أموالهم أو أعراضهم أو قتلهم، وقد أخرج البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)^(١).

٦ - أن الشرك تنقص وعيب نزه الرب سبحانه نفسه عنه فمن أشرك بالله فقد نسب لله ما نزه نفسه عنه وهذا غاية المحادة لله تعالى وغاية المعاندة والمشاقة لله.

٧ - أن الشرك أكبر الكبائر، عن أبي بكره رضى الله عنه قال: قال ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) ثلاثاً، قلنا: بلى يا رسول الله قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) الحديث^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «أخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته ويعبد وحده لا يشرك به»، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونِي﴾^(٣). وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٤). ومن أعظم القسط التوحيد وهو رأس العدل وقوامه، كما أخبر أن الشرك ظلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٥).

فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر. أ.هـ^(٦).

(ب) أنواع الشرك:



النوع الأول:

شرك أكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار إذا مات ولم يتب منه، وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من أصحاب القبور والجن

(١) رواه البخاري كتاب الجزية والوفاء، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، ج ٣، ص ٢١٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما جلي في شهادة الزور، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكفار وأدبارها حديث رقم ٨٧ من ٩١.

(٣) الآية (٥١) من سورة الذاريات.

(٤) الآية (٢٥) من سورة الحديد.

(٥) الآية (١٣) من سورة لقمان.

(٦) الجواب الكافي ص ٩-١٠.

والشياطين، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما يمارس الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين. قال تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١١).

النوع الثاني:

شرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:-

القسم الأول: شرك ظاهر وهو: ألفاظ وأفعال. فالألفاظ كالحلف بغير الله، قال ابن عمر رضي الله عنهما -: لا يُحْلَفُ بغير الله فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) (١٢).

وقول: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان. والصواب أن يقال: ما شاء الله ثم فلان، ولولا الله ثم فلان، لأن ثم تقتضي الترتيب مع التراخي فتجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣)، وأما الواو فهي لمطلق الجمع والاشتراك لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

وأما الأفعال: فمثل لبس الخُلْفَة والخِيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التماسم خوفاً من العين وغيرها إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسباباً. أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر؛ لأنه تعلق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات والنيات- كالرياء والسمعة- كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله يريد به ثناء الناس عليه، كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يمدح ويشي عليه، أو يتلفظ الذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس فيثنوا عليه ويمدحوه، والرياء إذا خالط العمل أبطله.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِوِصَايَاتِي وَيَكُفِّرْ﴾ (١٤). وقال النبي ﷺ: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر- قالوا يا رسول الله: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء) (١٥).

(١١) الآية (١٦٦) من سورة يونس.

(١٢) رواه الترمذي، كتاب التلويح والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله رقم ١٥٣٨. وعند أبي داود عن ابن عمر: (من حلف بغير الله فقد أشرك) كتاب الأيمان والتلويح، باب في كراهية الحلف بالآلهة وصحبه الحاكم وغيره.

(١٣) الآية (٢٩١) من سورة التكوين (١) الآية (١١١) من سورة الكهف.

(١٤) رواه أحمد رقم ١٢٦٠، ١٢٦١، والطبراني في الكبير رقم ١-١٢٠، والبيهقي في شرح السراج ٩٥، ص ٣٢٣، ٣٢٤. وقال القرطبي: يشهد حسن، وقال الهيثمي يشهد عزاء لأحمد، وزعمه رجال الصحيح، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن.

ومنه العمل لأجل الطمع الدنيوي، كمن يحج أو يؤذن أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي أو يجاهد لأجل المال. قال النبي ﷺ: (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط)^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته. وهذه هي الخيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ عِبْرَةَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾^(٢). وهي ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء^(٣). انتهى.

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:



- كما مر يتبين أن هناك فروقاً بين الشرك الأكبر والأصغر وهي:
- ١ - الشرك الأكبر يخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يخرج من الملة.
 - ٢ - الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يخلد صاحبه فيها إن دخلها.
 - ٣ - الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذي خالطه الرياء أو كان العمل لأجل الدنيا فقط.
 - ٤ - الشرك الأكبر يبيع الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيعهما.
 - ٥ - الشرك الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالات مطلقاً بل صاحبه يُحِبُّ ويؤالَى بقدر ما فيه من الإيمان ويُعَادَى بقدر ما فيه من العصيان. والمقصود بتحريم محبة الكافر هنا المحبة الدينية التي تقتضي المناصرة والمؤازرة فهذه لا تجوز إلا للمسلم، وأما الكافر فيبغض لأجل كفره ولو كان أقرب قريب وأدلة هذا الأصل كثيرة قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيِ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمُ إِفْكَارٌ وَأَمَّا تَعَبُودُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا كَرِيمًا إِنَّا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ آبَائِكُمْ وَلَكُمْ عَدَاوَةٌ وَالْعَصَاةُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾^(٤). الآية.

(١) رَوَاهُ السَّخَاوِيُّ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ وَالسُّبُوحِ بِابِ الْغُرَابَةِ فِي الْمَرْجُوحِ ٣ ص ٢٢٣ وَكُتِبَ الرِّقَالُ بِأَنَّهُ مَا يَتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ ج ٧ ص ٨٧٤.

(٢) سورة النحل - آية ١٢٤.

(٣) الحَوَاتِي فِي الْكُفْرِ ص ١١٤.

(٤) الآية (٨٥) مِنْ سُورَةِ آلْ عِمْرَانَ.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَدُوا مَوْتَكُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَوَادُّوهُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ
 أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَدَّبَهُمْ رُوحٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ (١) وأما المحبة الطبيعية
 كمحبة الزوجة أو الوالد أو الولد أو الأخ إذا كانوا كفاراً غير محاربين فجائزة، فطبيعة العلاقة بينهما علاقة
 بر وتعاون وإحسان ودعوة، ولذلك يجوز الإهداء والتعامل معهم ويحرم التعدي عليهم وظلمهم ، قال
 تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
 إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَيَّ إِخْرَاجَكُمْ أَنْ تَقُولُوا مَنْ بَرَّوهُمْ وَمَنْ يَبَرُّوهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝﴾ (٢)
 فالنهي واقع على التولي والمحبة لأجل الدين، والأمر بالإحسان والبر واقع على الإحسان لأجل القرابة
 أو لأجل الجوار على وجه لا يخل بدين المسلم.

الأسئلة

- س١: عرف الشرك، ولماذا صار أعظم الذنوب؟
- س٢: اذكر الدليل على: (أ) أن الله لا يغفر لمن أشرك به. (ب) أن الله حرم الجنة على المشرك وأنه مخلد في النار.
- (ج) أن الشرك أكبر الكبائر.
- س٣: علل لما يأتي: ١- الشرك أظلم الظلم. ٢- الشرك تنقص وعيب نزه الله سبحانه نفسه عنه.
- ٣- المشرك أجهل الجاهلين بالله.
- س٤: اذكر أنواع الشرك مع الاستدلال على ذلك.
- س٥: ضع علامة (✓) أو علامة (x) أمام العبارات التالية:

 - ١- الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الملة ولا يخلده في النار.
 - ٢- رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أصغر.
 - ٣- الحلف بغير الله شرك خفي.
 - ٤- لبس الحلقة والخيط واعتقاد أن هذه أسباب لرفع البلاء شرك أصغر.
 - ٥- من يحسن صلاته ويتصدق من أجل أن يمدحه الناس ويثنوا عليه شرك خفي.
 - س٦: اذكر الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

(١) سورة المائدة - آية: ٢٤ (٢) سورة الممتحنة - آية: ٩-٨.

نقض شبهات المشركين التي يتعلقون بها في تبرير شركهم

الفصل

الثالث

يستند كثير من الناس في تبرير ضلالهم وشركهم إلى شبه وحكايات باطلة تذكر أهمها فيما يلي ليكون المسلم على بصيرة في دينه ويزداد يقيناً بضلال المشركين.

أولاً: شبهة الاحتجاج بما كان عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة خلقاً عن سلف كما قال تعالى عنهم: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾^(١). وهذه حجة باطلة؛ فإن هؤلاء الآباء الذين قلدهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك لا تجوز متابعتة والافتداء به. قال تعالى ردّاً عليهم: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْتَدُونَ﴾^(٢). وإنما يكون الافتداء بالآباء محموداً إذا كانوا على حق كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَأَتَعْتَّ مِلَّةَ آبَائِي الْأَوَّيِّلِ إِذْ هُمْ يُشْكُونَ فَمَا كُنْتُ بِآيَاتِهِمْ لَاحِظًا﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٤).

ثانياً: ومن شبهة التي تعلقوا بها قولهم: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله فنحن نريد من الله جاههم وشفاعتهم.

ويجاب عن هذه الشبهة بأن هذا هو ما قاله المشركون من قبل في تبرير ما هم عليه، وقد كفرهم الله وسماهم مشركين كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَنْ لَا يَرْجُوا قَوْلِي أَتَعْجَبُونَ﴾^(٥). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ وَنُقَلِّقَ إِلَيْهِ أَعْيُنُنَا وَتَقُولُوا سَمِعْنَا اللَّهَ فَمَنْ يَمْلِكُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِطَةٌ مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٦). والشفاعة حق، ولكنها ملك لله وحده كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾^(٧). فهي تطلب من الله لا من الأموات، لأن الله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا غيرهم لأنها ملكه سبحانه وتطلب منه ليأذن للشافع أن يشفع. وليس الأمر كما هو عند المخلوقين من تقدم الشفعاء لديهم بدون إذنهم ويضطرون إلى قبول الشفاعة لحاجتهم إليهم وإن لم يرضوا عن المشفوع فيه؛ لأنهم يحتاجون إلى الأعوان والوزراء، أما الله سبحانه فلا

(٣) الآية (٣٨) من سورة يوسف.

(٤) الآية (٢٠) من سورة المائدة.

(٥) الآية (٩٣) من سورة الزخرف.

(٦) الآية (٢٢) من سورة الزمر.

(٧) الآية (١٨) من سورة يونس.

(٨) الآية (٢٢) من سورة الطور.

(٩) الآية (١١) من سورة الزمر.

يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه عن المشفوع فيه، قال تعالى:

﴿وَكَمِيزَنَ مَلِكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَفِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (١).

ثالثاً: ومن الشبه التي يحتج بها المشركون ظنهم أن مجرد النطق بـ «لا إله إلا الله» يكفي لدخول الجنة ولو فعل الإنسان ما فعل فإنه لا يكفر وهو يقول: «لا إله إلا الله» متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حرم على النار.

والجواب: أن الأحاديث ليست على إطلاقها وإنما هي مقيدة بأحاديث أخرى جاء فيها أنه لا بد لمن قال: «لا إله إلا الله» أن يعتقد معناها بقلبه ويعمل بمقتضاها فيكفر بما يعبد من دون الله، كما في حديث عتيان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» (٢). وإلا فالمنافقون يقولون: «لا إله إلا الله» بالسنتهم وهم في الدرك الأسفل من النار ولم يتفعهم النطق بـ «لا إله إلا الله»، لأنهم لا يعتقدون ما دلت عليه بقلوبهم، وفي حديث طارق بن أشيم: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» (٣) فعلق النبي ﷺ حرمة المال والدم على أمرين: الأول: قول لا إله إلا الله. والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله ولم يكتف بمجرد النطق بـ «لا إله إلا الله» قَدْ عَلِيَ أَنْ الَّذِي يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَتْرِكُ عِبَادَةَ الْمَوْتَى وَالتَّعَلُّقَ بِالْأَصْرَحَةِ لَا يَحْرِمُ مَالَهُ وَلَا دَمَهُ.

رابعاً: ومن الشبه التي يتعلقون بها: دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وأن ما يفعلونه عند الأضرحة من عبادة الموتى ودعائهم من دون الله لا يسمى شركاً عندهم.

والجواب عن هذا: أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون في هذه الأمة مشابهة لليهود والنصارى فيما هم عليه. ومن ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وأخبر ﷺ أنها لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمته الأوثان، وقد حدث في هذه الأمة من الشرك والمبادئ الهدامة والنحل الضالة ما خرج به كثير من الناس عن دين الإسلام وهم يقولون «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

(١) الآية (٢٩) من سورة النجم.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في النجوس ١١ / ١١.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٧.

خامساً: ومن الشبه قولهم: إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم.

والجواب: أن المؤمنين كلهم أولياء الله، ولكن الجزم لشخص معين أنه ولي الله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة، ومن ثبتت ولايته لم يجر لنا الغلو فيه والتبرك به؛ لأن ذلك من وسائل الشرك والله أمرنا بدعائه مباشرة دون اتخاذ وسائط بيننا وبينه، ولأن هذا هو التعليل الذي علق به المشركون من قبل: أنهم اتخذوا هؤلاء شفعا بينهم وبين الله، يسألون الله بجاههم وقربهم فأنكر الله عليهم ذلك.

الأسئلة

س ١: كيف تجيب عن شبهة من يقول: إني مسلم أقول: لا إله إلا الله وذلك كاف في دخولي الجنة ولو فعلت ما فعلت؟ مع ذكر الدليل.

س ٢: متى يكون الاقتداء بالآباء محموداً؟ مع الدليل.

س ٣: كيف ترد على شبهة من يقول: لا يقع في الأمة المحمدية شرك؟

س ٤: كيف ترد على شبهة من يقول: نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؟ مع ذكر الأدلة.

(أ) تعريفه:



الكفر في اللغة: التغطية والستر.

والكفر شرعاً: ضد الإيمان - فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسوله - سواء أكان معه تكذيب أم لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن الإيمان أو حسداً أو كبراً أو اتباع لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم من غيره^(١).

(ب) أنواعه:



الكفر نوعان: النوع الأول: كفر أكبر يخرج من الملة وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾^(٢).

القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

القسم الثالث: كفر الشك - وهو كفر الظن - والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾^(٤) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتْ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾^(٥)

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾^(٦) لَنَكُنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا

أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٧).

القسم الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا وَمُعْضِوْنَ﴾^(٨) الْقِسْمُ الْخَاصُّ: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٩).

(١) الظن صحيح القاموس لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/١٣٣٥).

(٢) الآية (٦٨) من سورة العنكبوت.

(٣) الآية (٣٥-٣٨) من سورة الكهف.

(٤) الآية (٣) من سورة النازعات.

(٥) الظن صحيح القاموس لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/١٣٣٥).

(٦) الآية (٣٥) من سورة النازعات.

(٧) الآية (٣٦) من سورة النازعات.

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، مثل الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفرًا وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى:

﴿ وَحَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ (١).

ومثل الحلف بغير الله قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» (٢).

ومثل قتال المسلم المذكور في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (سبَّابُ المسلم فُسُوقٌ وقاتله كُفْرٌ) (٣).

وفي حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ في حجة الوداع: (استنصت الناس) ثم قال: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) (٤).

وقد جعل الله مرتكب الكبيرة مؤمناً كما قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ (٥).

فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخاً لولي القصاص فقال: ﴿ فَمَنْ عَفَى أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنَّهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَفْأَى إِلَيْهِمْ إِخْسَرٌ ﴾ (٦). والمراد أخوة الدين بلا ريب، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾. إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (٧)، (٨).

وأما الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر فيقال فيه مثل ما قيل في الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

(١) الآية (١٦٦) من سورة النحل.

(٢) تقدم تفريجه ص ٥٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب خوفه المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ج ١ ص ١٧٧-١٧٨ ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ - سبَّابُ المسلم فسوقٌ وقاتله كفرٌ - حديث ٦٤ من ٨١ وفي مواضع أخرى فيها.

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الأصناف العظماء، ج ١ ص ٣٨ ومواضع أخرى فيه، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ - لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض - حديث ٦٤ من ٨١.

(٥) الآية (١٧٨) من سورة الفرقان.

(٦) الآية (١٧٨) من سورة الفرقان.

(٧) الآية (٩٠-٩١) من سورة الحجرات. (٨) شرح الطحاوية صفحة (٣٦١) ط الكتب الإسلامي.

الأسئلة

س ١: عرف الكفر لغة وشرعاً.

س ٢: اذكر الأدلة على ما يأتي:

(أ) كفر الظن.

(ب) كفر التكذيب.

(ج) كفر الإباء والاستكبار مع التصديق.

(د) كفر الإعراض.

(هـ) كفر النفاق.

س ٣: بين الكفر المخرج من الملة في النصوص التالية:

(أ) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمَّا آتَيْنَا مِنْ دُونِهَا يَمْتَرُونَ﴾.

(ب) قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾.

(ج) قال ﷺ: (مباب المسلم فسوق وقتاله كفر).

(د) قال ﷺ: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).

تعريفه :



النفاق لغة مصدر: نافق، يقال: نافق يتنافق نفاقاً ومتافقة وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره فإنه إذا طُلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه، وقيل: هو من النَفَق وهو السَّرْب يستر فيه^(١).

وأما النفاق في الشرع فمعناه: إظهار الإسلام والخير وإبطان الكفر والشر، سمي المنافق بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب آخر، وعلى ذلك نبّه الله تعالى بقوله:

﴿ إِنَّكَ الْمُنْتَفِقِينَ هُمْ الْفٰسِقُونَ ﴾^(٢) أي الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شرّاً من الكافرين فقال: ﴿ إِنَّ الْمُنٰفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنٰفِقِينَ يُخٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خٰدِعُهُمْ ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(٥).

أنواعه :



النفاق نوعان :

النوع الأول: النفاق الإعتقادي وهو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر. وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية وصاحبه في الدرك الأسفل من النار.

صفات أهله والتحذير منهم: وقد وصف الله أهله بصفات الشر كلها من الكفر وعدم الإيمان والاستهزاء بالدين وأهله والسخرية منهم والميل بالكلية إلى أعداء الدين لمشاركتهم لهم في عداوة الإسلام، وهؤلاء موجودون في كل زمان ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام ولا يستطيعون مقاومتها في الظاهر فإنهم يظهرعون الدخول فيه لأجل الكيد له ولأهله في الباطن، ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويأمنوا على دماءهم وأموالهم، فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بالله، ولا أن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس يهديهم بإذنه ويذرههم بأسه ويخوفهم عقابه.

(١) الآية (٦٨) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٨٨/٨٩) من سورة التوبة.

(٣) الآية (٨٨) من سورة التوبة.

(٤) الآية (٨٨) من سورة التوبة.

(٥) الآية (٨٨) من سورة التوبة.

وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن الكريم وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاث في أول البقرة، المؤمنين والكفار والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية، لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله. فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً، لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته ومواليته وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد^(١).

من أنواع النفاق الاعتقادي^(٢):



- ١ - تكذيب الرسول ﷺ.
- ٢ - تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
- ٣ - بغض الرسول ﷺ.
- ٤ - بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
- ٥ - المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.
- ٦ - الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.

النوع الثاني: النفاق العملي وهو النفاق الأصغر - وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب. وهذا لا يخرج من الملة - لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق وإذا كثر صار بسببه منافقاً خالصاً والدليل عليه قوله - ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)^(٣) فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشر وخلصت فيه نغوت المنافقين، ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر وخصال إيمان وخصال كفر ونفاق.

ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك، ومنه التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد خاصة صلاة العشاء والفجر فإنه من صفات المنافقين، فالنفاق شر وخطير جداً وكان الصحابة يتخوفون الوقوع فيه، قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله - ﷺ - كلهم يخاف النفاق على نفسه.

الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

- ١ - أن النفاق الأكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار، والنفاق الأصغر لا يخرج من الملة ولا يخلد صاحبه في النار.
- ٢ - أن النفاق الأكبر اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.

(٢) مجموعة التوحيد النعلية صفحة (٩).

(١) الفخر مدارج السالكين ج ١ ص ٣١٧، ٣١٨.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب ياتر خصال النفاق حديث رقم ٥٦ من ٧٨.

٣ - أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من مؤمن.

٤ - أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه ولو تاب فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم بخلاف النفاق الأصغر فإن صاحبه يتوب إلى الله في الغالب فيتوب الله عليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكثيراً ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه، قد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه).

والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قال الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخسر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: (ذلك صريح الإيمان) وفي رواية: ما يتعاضم أن يتكلم به. قال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)^(١) أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة ودفعه عن القلب هو من صريح الإيمان - انتهى^(٢).

وأما أهل النفاق الأكبر فقد قال الله فيهم: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٣) أي إلى الإسلام في الباطن وقال تعالى فيهم:

﴿أُولَٰئِكَ يَنْفَكُونَ عَنْ كُلِّ عَٰلَمٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر لكون ذلك لا يعلم إذ هم دائماً يظهرهم الإسلام)^(٥).

(١) الحديث في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأتي المؤمن من أوسوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قال الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخسر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: (ذلك صريح الإيمان) وفي رواية: ما يتعاضم أن يتكلم به. قال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)» (٢) انتهى (٣) ص ١١٩ وفي رواية: «يأتي المؤمن من أوسوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قال الصحابة: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخسر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال: (ذلك صريح الإيمان) وفي رواية: ما يتعاضم أن يتكلم به. قال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)» (٤) كتاب الأيمان، باب في رد الوسوسة. وانظر السج ٩ ص ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩. (٥) انظر مجموع الفتاوى (١٨) من سورة النور.

(٦) انظر كتاب الأيمان، صفحة ٢٢٨. (٧) الآية (١٢٦) من سورة النور.

(٨) انظر مجموع الفتاوى (٢٨) ١٣١-١٣٢.

- س ١: عرف النفاق لغة وشرعاً.
- س ٢: ما أنواع النفاق؟ وأي الأنواع المخرج من الملة؟
- س ٣: أيهما أشد خطراً على الدين الكفار أم المنافقون؟ ولماذا؟
- س ٤: بين النفاق الاعتقادي والعملي في الصور التالية:
- تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ.
 - التكاسل عن الصلاة مع الجماعة في المسجد.
 - الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ.
 - الكذب في الحديث.
 - الفجور في المخاصمة.
 - المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ.
- س ٥: اذكر الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر.



(۱) تعریفها:

نسبة إلى الجاهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق فهو جاهل أيضاً.

والمراد بها عند الإطلاق هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرايع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك^(١) فقد كان الناس قبل بعث الرسول ﷺ في جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل.



قسم الجاهلية:

تنقسم الجاهلية إلى قسمين :

(أ) الجاهلية المطلقة: وهي ما كان قبل بعث الرسول ﷺ وقد انتهت بسبعته، ويدخل فيها كل ما يخالف ما جاء به المرسلون من يهودية ونصرانية، ولهذا لا يطلق على زمان بعد بعث محمد ﷺ أنه جاهلية.

(ب) الجاهلية المقيدة: وهي مقيدة ببعض البلدان وبعض الأشخاص وبعض الدول وهذه لا تزال باقية فتكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفر، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم فلوله في جاهلية وإن كان في دار الإسلام. والجاهلية المقيدة قد توجد في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال ﷺ: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية)^(٢) وقال لأبي ذر: (إنك امرؤ فيك جاهلية)^(٣) ونحو ذلك^(٤).

وأما التعميم فلا يصح ولا يجوز؛ لأنه بعثة النبي ﷺ زالت الجاهلية العامة فقد استفاضت الأدلة أنه لا تزال من هذه الأمة طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة.

1997/98 50 25000000

١٢) ولا يمكن أن يكون الجاني واقعاً في السخونة في الساعة حيث أنه ١٢:٤٠ من ليلاً والله الأشهر.

(١٣) من حيث تمثيل أبي القاسم الجواليقي كتاب الإيمان بالله العليّ من أمّ الجافّة ولا تكلم عليها بارتكابها إلا بالشكّ ح ١ ص ١٣٠. وسمي كتاب الإيمان بالله إظهار العلم كما كان (ألفه في ربيع الأول سنة ١٢١٢ هـ).

(1) (الفصل الثاني من المرسوم رقم 227/2007) يلغى.

وبهذا يتضح خطأ من يعممون الجاهلية في هذا الزمان فيقولون: جاهلية هذا القرن وما شابه ذلك، والصواب أن يقال جاهلية بعض أهل هذا القرن أو غالب أهل هذا القرن.

الأسئلة

س ١: عرف الجاهلية، وما المراد بها عند الإطلاق؟

س ٢: ما أقسام الجاهلية؟

س ٣: هل يجوز تعميم الجاهلية؟ ولماذا؟

س ٤: ما رأيك في استخدام عبارة جاهلية القرن العشرين؟

تعريفه:

الفسق لغة: الخروج .

والمراد به شرعاً: الخروج عن طاعة الله . وهو يشمل الخروج الكلي فيقال للكافر فاسق ، والخروج الجزئي فيقال للمؤمن المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب فاسق .

أنواعه:

الفسق نوعان :

١ - فسق ينقل عن الملة: وهو الكفر ، فيسمى الكافر فاسقاً ، فقد ذكر الله إبليس فقال:

﴿ فَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ^(١) وكان ذلك الفسق منه كفراً . وقال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَيَأْوِيهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ ^(٢)

يريد الكفار ، دل على ذلك قوله:

﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ تَكْذِبُونَ ﴾ ^(٣)

٢ - فسق لا يخرج من الملة: وهو المعصية ، فيسمى العاصي من المسلمين فاسقاً ولم يخرج به فسقه من

الإسلام قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً

أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٤) . وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفْتَ وَلَا سُوءَ وَلَا جِدَالَ

فِي الْحَجِّ ﴾ ^(٥)

قال العلماء في تفسير الفسوق هنا: هو المعاصي ^(٦) .

الأسئلة

س ١: عرف الفسق لغة وشرعاً .

س ٢: ما أنواع الفسق، مع الاستدلال على ذلك؟

(١) الآية ١٢ من سورة النحل

(٢) الآية ١١٧ من سورة البقرة

(٣) الآية ١٦ من سورة الكهف

(٤) الآية ٢٤ من سورة النور

(٥) انظر كتاب الأضاح للشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٧٤

الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، وهو ضد الهداية قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْدَىٰ فَإِنَّ آيَاتِي لَنُفِصِلَنَّ عَنْهَا ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ﴾ (١).



إطلاقاته:

الضلال يطلق على عدة معاني:

- ١- فتارة يطلق على الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ﴾ (٢).
- ٢- وتارة يطلق على الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ﴾ (٣).
- ٣- وتارة يطلق على المخالفة التي هي دون الكفر، كما يقال: الفرق الضالة أي المخالفة.
- ٤- وتارة يطلق على الخطأ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُمَا قَالَ إِنَّا أَضَالُونَ ۖ﴾ (٤).
- ٥- وتارة يطلق على النسيان ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۖ﴾ (٥).
- ٦- ويطلق الضلال على الضياع والغيبة ومنه: ضالة الإبل (٦).

الأسئلة

س: ما المراد بالضلال في النصوص التالية:

- (أ) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ﴾.
- (ب) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ﴾.
- (ج) قال تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۖ﴾.
- (د) قال تعالى: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا وَاتَّامِنُ الصَّالِحِينَ ۖ﴾.

(١) الآية (١٥) من سورة الإسراء.

(٢) الآية (١٧٩) من سورة النساء.

(٣) الآية (١٦) من سورة النساء.

(٤) الآية (٢٨٢) من سورة الشورى.

(٥) نظم كتاب التوراة المرفوع من ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٦) الآية (٢٦) من سورة القلم.

تعريفها:

الردة لغة: الرجوع قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُوا عَلَىٰ أَذْيَارِكُمْ﴾^(١) أي لا ترجعوا.
والردة في الاصطلاح الشرعي: هي الكفر بعد الإسلام - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ ذِمَّتَكُمْ عَنْ
وَيْبِهِ، قَسَتْ أَوَّارُهُ فَأُولَٰئِكَ فَطَنَ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

أنواعها:

- ١- الردة بالقول: كسب الله تعالى أو رسوله ﷺ أو ملائكته أو أحد من رسله، أو ادعاء علم الغيب أو ادعاء النبوة أو تصديق من يدعيها، أو دعاء غير الله أو الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله أو الاستعاذة به في ذلك.
- ٢- الردة بالفعل: كالسجود للصنم والشجر والحجر والقبور والذبح لها، والقضاء المصحف في المواطن المقدسة وعمل السحر وتعلمه وتعليمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقداً حله.
- ٣- الردة بالاعتقاد: كاعتقاد الشريك لله، أو أن الزنا والخمر والربا حلال، أو أن الخبز حرام أو أن الصلاة غير واجبة أو جواز الحكم بغير ما أنزل الله ونحو ذلك مما أجمع على حله أو حرمة أو وجوبه إجماعاً قطعياً ومثله لا يحمله.
- ٤- الردة بالشك في شيء مما سبق ضمن شك في تحريم الشرك أو تحريم الزنا والخمر، أو في حل الخبز أو شك في رسالة النبي ﷺ أو رسالة غيره من الأنبياء أو في صدقه أو في دين الإسلام أو في صلاحيته لهذا الزمان.

أحكام الردة:

يترتب على الردة بعد ثبوتها أحكام هي:

- ١- استنابة المرتد، فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قبل منه ذلك وترك.

(١) البقرة: ٢١٧ من سورة البقرة

(٢) البقرة: ٢١٧ من سورة البقرة

٢ - إذا أبى أن يتوب وجب قتله؛ لقوله ﷺ: (من بدل دينه فاقتلوه)^(١)

٣ - يمنع من التصرف في ماله مدة استأبته فإن أسلم فهو له، وإلا صار فينا لبيت المال من حين قتله أو موته على الردة، وقيل من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

٤ - يفرق بينه وبين زوجته المسلمة فإنها لا تحل له.

٥ - انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه فلا يرثهم ولا يرثونه.

٦ - إذا مات أو قتل على ردة فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وإنما يدفن في مقابر الكفار أو يوارى في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين.

التكفير:

التكفير هو الحكم على شخص بأنه كافر.

أحوال الناس في الحكم عليهم: الإنسان، إما أن يكون كافراً أصلياً كاليهود والنصارى والوثنيين وتكفير هؤلاء واجب بل إن من لم يكفرهم أو شك في كفرهم فهو كافر، وإما أن يكون مسلماً فهذا لا يجوز تكفيره إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

خطورة تكفير المسلم: تكفير المسلم أمر عظيم وخطير لا يجوز الإقدام عليه إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٢).

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»^(٣) وعن أسامة بن زيد قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أقال لا إله إلا الله وقتلته، قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب لا يحل للمسلمين أن يقتلوا من أسلم بعد ما أسلموا من أهل الردة والفرقة واستأبته بهم ٢٦٩٢٢.

(٢) سورة النساء ٩١.

(٣) رواه البخاري كتاب الإيمان باب الأمر بقتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١١٠١/١٢٠١ ج ٣٦ للأعلام عن ابن عمر.

أقالها أم لا؟ فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ^(١)، فأجرتني ﷺ أمرهم في هذه الدنيا على الظاهر وهو ما أقروا به من الإسلام، وهذا هو الأصل بقاء المسلم على إسلامه حتى يأتي ما ينقله عنه ببرهان صحيح، وقد ورد في السنة التشديد في تكفير المسلم لأخيه المسلم قال ﷺ: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)^(٢).

التكفير حق لله: فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك ورئى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله»^(٣).

أنواع التكفير:

للتكفير أنواع ثلاثة: تكفير بالعموم، وتكفير بأوصاف، وتكفير أشخاص وسنعرض لهذه الأنواع بالتفصيل التالي:

(أ) التكفير بالعموم: ومعناه تكفير الناس كلهم عالمهم وجاهلهم من قامت عليه الحجة ومن لم تقم. وهذه طريقة أهل البدع وقد برأ الله أهل السنة منها^(٤).

(ب) تكفير أوصاف: وهذا كقول أهل العلم في كتب العقائد في باب الردة من كتب الفقه: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفراً، ومن سب الله أو رسوله ﷺ كفر، ومن كذب بالبعث كفر.

وإطلاق أهل العلم هذا يقصدون به أن هذا الفعل كفر يخرج من الإسلام أما صاحبه فلا يكفرونه حتى تتوفر الشروط وتتفي الموانع، فليس من لازم كون الفعل كفراً أن يكون فاعله كافراً.

(ج) تكفير أشخاص (تكفير المعين): والمقصود به الحكم على الشخص الذي وقع في أمر يخرج من الملة بالكفر. ومذهب أهل السنة والجماعة في ذلك وسط بين من يقول: لا تكفر أحداً من المسلمين ولو ارتكب ما ارتكب من نواقض الإسلام. وبين من يكفر المسلم بكل ذنب دون النظر إلى أن هذا الذنب مما يكفر به

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب قول الله تعالى: «ومن أضاف» ٢٢/٨٢٠ وسلم كتاب الإيمان، باب لعنهم قبل الكفر بعد قول «ألا لا الله» ٩٦/١ ح ١٥٨ والنسخ له، ونظر دس الحفص في صحيح البخاري ٢٨١/٣.

(٢) يوم الجحاري كتاب الأسماء باب من أقسم ابتداءً بغير ما قبله فهو كافر ٩٦/٧ ح ٦٦، ومسلم كتاب الإيمان، باب ديان حاكم إذا من بين لأبيه السنة في كتاب ٢٩/١ ح ١. واللفظ الجحاري، وحكم من له، لذلك، إذا كافر من قبله له الكلمة مستحقاً لها فهو كافر؛ وإذا كان غير مستحق لها فلا تثبت عليه ما لا تثبت عليه من ارتكب لم يخرج من الملة فأطلق عليه الكفر من غير عدل، بل هذا للإسلام وأهله حكم بقره ذلك لأصحه، وإن كان الحق عند منة بالتكفير لمجرد عدل أو حرى أو خلافه في اللعب كما وقع لكم من الجهاد لهذا من الخطأ الذي وصاحبه أن بذلك أسطر بعد عدة رسائل والرسائل الجدية ١٣٩/٣ - ١٣٧ وفتح الباري ٢٢٦/١١ ونواظر الأيمان المقلوب ١١ - ٢١ - ٢١.

(٣) أورد على البخاري من ٢٥٧-٢٥٨ ونظر القواعد الفقهية ٨٧.

(٤) نظر في عقد هذا القول مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٥٨/١٢ ومناهج أهل التبع والاتباع من بعدد من ٥٨.

فمن أنكر شيئاً من هذه الأحكام من العامة فلا يكفر إلا بعد أن تبين له ثم يصر على إنكاره، أما من أنكرها من أهل العلم فيكفر إذا كان مثله لا يجهلها^(١١).

(ب) الخطأ: بأن يعمل عملاً أو يعتقد اعتقاداً يكون مخالفاً للإسلام كمن حكم بغير ما أنزل الله مخطئاً وهو يريد أن يحكم بما أنزل الله أو فعل شيئاً من الشرك يظنه جائزاً أو أنكر شيئاً من الدين ظاناً أنه ليس منه والدليل قوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(١٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه يثبت لم يزول ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة)^(١٣).

(ج) التأويل: وهو صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالفه لدليل منفصل، وهو قسمان: القسم الأول: قسم يعذر صاحبه بتأويله، وهو ما كان مبنياً على شبهة، بأن كان له وجه من لغة العرب، وخلصت نية صاحبه كمن تأول في صفات الله تعالى. وكان تأويله مبنياً على شبهة وخلصت نية صاحبه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن سبب عدم تكفير الإمام أحمد وغيره لمن قال بخلق القرآن بعينه: (إن التكفير له شروط وموانع وقد تنضي في حق المعين وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه)^(١٤).

وقال في موضع آخر عن نفس المسألة: (فالإمام أحمد رحمه الله ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنه لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطؤوا وقلدوا من قال ذلك لهم)^(١٥).

والقسم الثاني: تأويل لا يعذر أصحابه كتأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممن حقيقه أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلاً أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به كتأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها. فهذا كفر مخرج عن الإسلام.

(د) الإكراه: من أخرجه على الكفر بأن ضرب وعذب، بأن يرشد عن دينه أو يسب الإسلام... أو هدد

(١١) انظر غير النص (الإيمان والأعتقاد) ١/١١٠-١١١-١١٢

(١٢) راجع في خبري الكتاب الإجماع بالسنن، بعد أن حكاهم (أ) أصحابه فاضاءة أو الخطأ ١/٨٧-٨٨، وفيهم كتاب الانقياد، بأن كان أجبر الحاكم إذا اجتهد فاضاءة أو الخطأ ٣/١٣٤٢

ع ١٧١٩

(١٣) مجموع الفتاوى ١٢/١٦٦، وانظر ١١/١٠١-١٠٢، ١٢/٢٢٤-٢٢٥ (١٤) انظر مجموع الفتاوى ١٢/١٦٦، وانظر ١١/١٠١-١٠٢ (١٥) المسائل المارونية ص ١٢٥

بالقتل والمهدد قادر على فعل ما هدد به، فكفر ظاهراً مع اطمئنان قلبه بالإيمان فهذا معدود ولا يكفر بفعله ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَدْ أَمَّ عَلَى ظُهُورِهِ﴾ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ سُدْرًا فَلَيْتَهُ عَصَتْ مِنْكَ آتِيَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾.

كيفية إقامة الحجة :



لا يحكم على معين بالكفر إلا بعد إقامة الحجة عليه وإصراره على الكفر الذي وقع منه، وإقامة الحجة يختلف من بلد إلى آخر ومن زمان إلى آخر ومن شخص إلى آخر ومن كونه كلاماً نظرياً إلى تطبيق على شخص معين ويتلخص ذلك: ببلوغ الحجة للمعین وثبوتها، وتمكنه من معرفتها وكل ذلك لا يتم إلا بوجود من يحسن إقامة الحجة^(٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية (....) وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذر الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان^(٣). وقال الشيخ سليمان بن سحمان: (الذي يظهر لي والله أعلم أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك، فإنه لا تقوم به الحجة)^(٤).

الأسئلة

- س١: عرف الردة في اللغة والاصطلاح.
- س٢: بين أنواع الردة في الصور التالية:
 - (أ) ادعاء علم الغيب.
 - (ب) سب الله ورسوله والملائكة.
 - (ج) إلقاء المصحف في المواطن القذرة.
 - (د) اعتقاد أن الربا حلال.
 - (هـ) السجود للصنم.
 - (و) تعلم السحر.
 - (ز) الشك في رسالة النبي ﷺ.
- س٣: اذكر أحكام الردة التي تترتب عليها بعد ثبوتها.
- س٤: عرف التكفير، وما أحوال الناس في الحكم عليهم؟
- س٥: ما خطورة تكفير المسلم؟
- س٦: ما أنواع التكفير؟ وما شروطه؟
- س٧: اذكر موانع التكفير، وما كيفية إقامة الحجة على المعين؟

(١) سورة النحل آية ١٠٦. (٢) انظر بر الوفاء للأئمة الإمامية ١/ ٢١٣. (٣) مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣٢١ ومثله ٣/ ٢٠٩. (٤) منهاج الحق والامتناع من ٢٨. (٥) انظر خصوصاً آخري للعلامة في كتاب غرر الفقه ١/ ٢١٢ والامتناع ١/ ٢١٢.

الباب الثاني

أقوال وأفعال تناقي التوحيد أو تنقصه

ويتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول	: شرك الخوف .
الفصل الثاني	: شرك المحبة .
الفصل الثالث	: شرك التوكل .
الفصل الرابع	: ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما .
الفصل الخامس	: الاستسقاء بالأنواء .
الفصل السادس	: نسبة النعم إلى غير الله .
الفصل السابع	: السحر والكهانة والعرافة .
الفصل الثامن	: الرقى والتماائم .
الفصل التاسع	: الطيرة .
الفصل العاشر	: تقديم القرابين والنذور والهدايا للمزارات والقبور .
الفصل الحادي عشر	: تعظيم التماثيل والنصب التذكارية .
الفصل الثاني عشر	: الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته .
الفصل الثالث عشر	: ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم .
الفصل الرابع عشر	: الحكم بغير ما أنزل الله .
الفصل الخامس عشر	: الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والاحزاب الجاهلية .
الفصل السادس عشر	: النظرة المادية للحياة .
الفصل السابع عشر	: الحلف بغير الله والتوسل والاستعانة بالمخلوق .
الفصل الثامن عشر	: سوء الظن بالله .
الفصل التاسع عشر	: سب الدهر والرياح .
الفصل العشرون	: قول (لو) في بعض الحالات .

الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى. قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ مُشْفِقِينَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾^(٢) وأمثالها من الآيات

أقسام الخوف:

الخوف ثلاثة أقسام:

١ - خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر. وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه، فمن أشرك مع الله غيره فهو مشرك شركاً أكبر، كمن يخاف من الأصنام أو الأموات ويعتقد ضررهم ونفعهم كحال بعض عباد القبور ونحوها من الأوثان، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله.

٢ - أن يخاف من شيء لا يؤثر عليه، ويحمله هذا الخوف على ترك واجب أو فعل محرم فهذا الخوف محرم، والواجب عليه أن لا يتأثر به. مثل ما لو هدده إنسان على فعل محرم فخافه، وهو لا يستطيع أن يتعد ما هدده به، فهذا خوف محرم لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر.

وهذا الخوف نوع من الشرك بالله المتأني لكسب التوحيد، وهذا هو سبب نزول قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَفَضَّلَ اللَّهُ مَن يَرْضَاهُ وَاللَّهُ دُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤)

(معنى قول تعالى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم أوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى، فلا يخافون غيره. وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده، ورضيه منهم.

قال العلامة ابن القيم: ومن كيد عدو الله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم، ولا يصبروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه، ونهانا أن نخافه.

قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم. فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم، فدلّت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من شروط كمال الإيمان^(١).

٣- الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك، فهذا في الأصل مباح؛ لقوله تعالى عن موسى: ﴿خُذْ مِنْهَا حَافِيًا يَرْقُبَ﴾^(٢).

وهذا النوع لا ينافي الإيمان، وإذا كان خوفاً محققاً قد انعقدت أسبابه فليس بمذموم. أما إذا كان خوفاً وهمياً ليس له سبب أصلاً أو له سبب ضعيف فهذا مذموم، يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعود عليه السلام من الجبن. والإيمان التام والتوكل على الله يدفع هذا النوع، وتنقلب المخاوف في حق خواص المؤمنين أمناً وطمأنينة لقوة إيمانهم وكمال توكلهم.

ويجب أن نعلم أن الخوف من الله سبحانه يجب أن يكون مقروناً بالرجاء والمحبة بحيث لا يكون خوفاً باعثاً على القنوط من رحمة الله عز وجل، فالمؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، بحيث لا يذهب مع الخوف فقط حتى يقنط من رحمة الله، ولا يذهب مع الرجاء فقط حتى يأمن مكر الله؛ لأن القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله بنافيان التوحيد، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٤).

والخوف والرجاء إذا اجتمعا دفعا العبد إلى العمل وفعل الأسباب النافعة فإنه مع الرجاء يعمل الطاعات رجاء ثوابها، ومع الخوف يترك المعاصي خوف عقابها، أما إذا يتس من رحمة الله؛ فإنه يتوقف عن العمل الصالح، وإذا أمن من عذاب الله وعقوبته؛ فإنه يندفع إلى فعل المعاصي.

الأسئلة

س١: بين من أي أنواع الخوف ما يلي:-

- (أ) رجل خاف إن لم يذبح لصاحب القبر أن يؤذيه. (ب) رجل ترك الأمر بالمعروف خوفاً من كلام الناس.
- (ج) رجل لقي أسداً فهرب منه. (د) رجل ترك الجهاد خوفاً من قوة الكفار وكثرتهم.

س٢: ما الذي يجب أن يقترن مع الخوف من الله؟ وضح ذلك مع التعليل.

س٣: ما أثر الخوف من الله تعالى على المسلم؟ وما الفائدة من الجمع بين الخوف والرجاء؟

س٤: ما المراد بالخوف الوهمي، وبم يكون علاجه؟

(١) إيمانه الشيطان ١/ ١٣٧ (٢) الآية ٩٩ من سورة الأعراف

(٣) الآية ٢١ من سورة القصص (٤) الآية ٢٦ من سورة الطين

أصل الأعمال كلها هو المحبة فالإنسان لا يعمل إلا لما يحب؛ إما لجلب متفعة، أو لدفع مضرة، فإذا عمل شيئاً؛ فأنه يحبه إما لذاته كالطعام أو لأنه يوصل إلى المحبوب كالدواء.

وعبادته لله مبنية على المحبة بل هي حقيقة العبادة؛ إذا لو تعبد المرء بدون محبة صارت عبادته قسراً لا روح فيها، فإذا كان الإنسان في قلبه محبة لله وللوصول إلى جنته؛ فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك.

ولهذا لما أحب المشركون آلهتهم توصلت بهم هذه المحبة إلى أن عبدوها من دون الله أو مع الله.

أقسام المحبة :

المحبة قسمان :

القسم الأول: محبة عبادة وهي التي توجب التقدير والتعظيم، وأن يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه ما يقتضي أن يمثل أمره ويجنب نهيه، وهذه خاصة بالله، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة؛ فهو مشرك شركاً أكبر. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (١) أي: يحبون هذه الأنداد كمحبة الله فيجعلونها شركاء لله في المحبة. وقال تعالى حاكياً عن المشركين:

﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ نُسَوِّدُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾﴾ (٢).

القسم الثاني: محبة ليست بعبادة في ذاتها وهذه أنواع:

النوع الأول: المحبة لله وفي الله، وذلك بأن يكون الجالس لها محبة الله؛ أي: كون الشيء محبوباً لله من أشخاص؛ كالأنبياء، والرسل، والصديقين، والشهداء، والصالحين. أو أعماله كالصلاة والزكاة، وغير ذلك.

النوع الثاني: محبة إشفاق ورحمة، وذلك كمحبة الولد، والصغار، والمرضى.

النوع الثالث: محبة إجلال وتعظيم لا عبادة، كمحبة الإنسان لوالده، ولعلمه،

النوع الرابع: محبة طبيعية، كمحبة الطعام، والشراب، والملبس، والمركب، والمسكن.

وأشرف هذه الأنواع النوع الأول وبقيتها من القسم المباح، إلا إذا اقترن بها ما يقتضي التعبد صارت عبادة؛

(١) سورة البقرة آية ١٦٤

(٢) سورة البقرة آية ١٧-١٨

فالإنسان يحب والده محبة إجلال وتعظيم، وإذا اقترن بها أن يتعبد لله بهذا الحب من أجل أن يقوم ببر والده صارت عبادة، وكذلك يحب ولده محبة شفقة، وإذا اقترن بها ما يقتضي أن يقوم بأمر الله في إصلاح هذا الولد صارت عبادة. وكذلك المحبة الطبيعية، كالأكل والشرب والملبس إذا قصد بها الاستعانة على عبادة الله صارت عبادة.

ولكن لا بد أن تكون محبة الله التي هي محبة العبودية مقدمة على المحبة التي ليست عبودية كمحبة الآباء والأولاد والأموال، وقد توعد الله من قدم هذه المحبة على محبة الله، قال تعالى: ﴿قَدْ إِنْ كَانَ آيَاتُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنَاتُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَفِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَفِئُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١) وهذا الوعيد في الآية ليس لمجرد حب هذه الأشياء لأن هذا شيء جبل عليه الإنسان وإنما توعد سبحانه من قدم محبتها على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه الله ورسوله. فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراد على ما يحبه العبد ويريد.

علامات محبة الله :

منها: أن من أحب الله تعالى فإنه يقدم ما يحبه الله من الأعمال على ما تحبه نفسه من الشهوات والممليات والأموال والأولاد والأوطان.

ومنها: أن من أحب الله تعالى؛ فإنه يتبع رسوله ﷺ فيما جاء به فيفعل ما أمر به ويترك ما نهى عنه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

ومنها: الدلة والخضوع والرحمة للمؤمنين.

ومنها: العزة على الكافرين بأن يظهرُوا لهم الغلظة والشدة والترفع عليهم ولا يظهرُوا لهم الخضوع والخوف.

ومنها: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد والمال واللسان لإعلاء دين الله وقمع أعدائه.

ومنها: أنهم لا نأخذهم لومة لائم على ما يبذلونه من أموالهم وأنفسهم لنصرة دين الله.

وَدَلِيلُ هَذِهِ الْأَرْبَعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ رَدَّدَ مِنْكُمُ عَنْ دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ جَدِيدٍ وَجَيِّدَةٍ

(3) الآية 38 من سورة المائدة،

(۳) (۲) سے \mathbb{Z}_2 کی تصویر

$$2 \leq \alpha_j^0 \leq 4, \mu_j^0 \in (0, 1) \quad (j = 1, \dots, 5)$$

والأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى عشرة أشياء ذكرها ابن القيم رحمه الله^(١)، وهي:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالتواقل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكر الله على كل حال باللسان والقلب والعمل.

الرابع: إثارة ما يحبه الله على ما يحبه العبد عند تزاوج المحبتين.

الخامس: التأمل في أسماء الله وصفاته وما تدل عليه من الكمال والجلال، وما لها من الآثار الحميدة.

السادس: التأمل في نعم الله الظاهرة والباطنة ومشاهدة براء وإحسانه وإنعامه على عباده.

السابع: انكسار القلب بين يدي الله واقتضاره إليه.

الثامن: الخلوة بالله وقت النزول الإلهي حين يبقى ثلث الليل الآخر، وتلاوة القرآن في هذا الوقت، وختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة أهل الخير والصلاح المحبين لله عز وجل والاستفادة من كلامهم.

العاشر: الابتعاد عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشواغل.

الأسئلة

س١: ما المحبة التي هي حقيقة العبادة؟

س٢: هل محبة الوالد والخضوع له تعتبر عبادة له؟ وضح ذلك.

س٣: هل محبة الأولاد مذمومة أو مدحوة؟ وضح ذلك.

س٤: اختر مما يلي - ما يعتبر علامة على صدق محبة الله تعالى:

(أ) محبة سماع القرآن، وبغض سماع الغناء. (ب) العزة على الكافرين، والخضوع للمؤمنين.

(ج) ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للوم بعض الناس له.

س٥: اذكر أربعة أسباب ترى أنها تزيدك محبة لله تعالى.

(١) صفر مدارج السالكين ١/٣، ١٦-١٨.

التوكل لغة: الاعتماد والتخويز، وهو من عمل القلب، يقال: توكل في الأمر إذا قصد القيام به، ووكلت أمري إلى فلان إذا اعتمدت عليه.

والتوكل على الله من أعظم أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله، قال تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) فأمر الله سبحانه بالتوكل عليه وحده، لأن تقديم المفعول يفيد الحصر، وجعل التوكل عليه شرطاً في الإيمان، كما جعله شرطاً في الإسلام في قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٢) فدلّ على استثناء الإيمان والإسلام عن من لم يتوكل على الله أو توكل على غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو.

والتوكل أجمع أنواع العبادة وأعلى مقامات التوحيد وأجلها لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة.

وقد جعل الله التوكل عليه من أبرز صفات المؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتِ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ ذَٰلِكُمْ يَسْتَوِيُونَ﴾^(٣) أي: يعتمدون عليه بقلوبهم فلا يرجون سواه، وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاثة مقامات من مقامات الإحسان وهي: الخوف، وزيادة الإيمان عند سماع القرآن، والتوكل على الله وحده.

والتوكل على الله سبحانه لا يتنافى السعي في الأسباب والأخذ بها؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد مقدورات مربوطة بأسباب، وقد أمر الله تبارك وتعالى بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل؛ فالأخذ بالأسباب طاعة لله؛ لأن الله أمر بذلك، وهو من عمل الجوارح، والتوكل من عمل القلب وهو إيمان بالله قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَخْذُوا حِذْرَكُمْ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٥).

التوكل على غير الله تعالى:

التوكل على غير الله تعالى قسمان:

١ - التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله؛ كالتوكل على الأموات والمغائبين ونحوهم من الطواغيت في تحقيق النصر والحفظ أو الرزق أو الشفاعة، فهذا شرك أكبر.

(١) الآية ٢٢ من سورة المائدة (٢) الآية ١٧٩ من سورة البقرة (٣) الآية ١٠٢ من سورة البقرة (٤) الآية ١٠٣ من سورة البقرة (٥) الآية ١٠٤ من سورة البقرة

٢ - التوكل في الأسباب الظاهرة؛ كمن يتوكل على أمير أو سلطان أو أي شخص حي قادر فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر.

أما الوكالة الجائزة: فهي إنابة الإنسان من يقوم بعمل عته مما يقدر عليه؛ كبيع وشراء، ولكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكله فيه، بل يتوكل على الله في تيسير أموره التي يطلبها بنفسه أو نائبه. لأن توكيل الشخص في تحصيل الأمور الجائزة من جملة الأسباب، والأسباب لا يعتمد عليها وإنما يعتمد على الله سبحانه الذي أوجد السبب والمسبب.

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(١) ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل؛ لأن الإنسان لو وكل إلى نفسه وكل إلى ضعف وعجزه، ولم يتمكن من القيام بالعبادة. ولهذا نقول في صلاتنا: «إياك نعبد وإياك نستعين» فنطلب من الله العون اعتماداً عليه سبحانه بأنه سيعيننا على عبادته.

ومنى استدأم العبد العلم بأن الأمر كله لله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم اعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ووثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه مع بذل جهده في فعل الأسباب النافعة فهو المتوكل حقيقة وليشتر بكفاية الله له ووعدته للمتوكلين، ومنى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وكل إليه وخاب أماله.

الأسئلة

س١: بين حكم ما يلي مع الدليل والتعليل.

(أ) التوكل على الله في النصر على الأعداء.

(ب) التوكل على ميت في أن يرزقه أولاداً.

(ج) رجل يقول: لن يقدر أحد على إيذائي، فالأمير يحميني من كل أذى.

(د) رجل يقول: لن أجوع والأمير متكفل برزقي.

(هـ) رجل وكل آخر في أن يقيض ما له من حقوق عند شخص آخر.

س٢: ما علاقة الإيمان بالتوكل؟

س٣: رجل قيل له: لماذا لا تعمل وتكسب؟ فقال: أنا متوكل على الله، ورزقي سيأتي في بيتي ولو لم أعمل.

ناقش هذا القول مع ذكر الدليل والتعليل.

س٤: متى يكون الإنسان متوكلاً حقيقة ومستحقاً لكفاية الله؟

ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان وغيرهما

الفصل

الرابع

المراد بالغيب:

ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلية والماضية وما لا يروونه بالأبصار، وقد اختص الله بعلمه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١). فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده، وقد يطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْغَيْبَ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا أَمْرًا أَتَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(٢). أي لا يطلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يستدل على نبوته بالمعجزات التي منها الإخبار عن الغيب الذي يطلعه الله عليه، وهذا يعلم الرسول من الملائكة ومن البشر ولا يطلع عليه غيرهم لدليل الحصر.

حكم ادعاء علم الغيب:

من ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل غير من استثناء الله من رسله فهو كاذب كافر.

صور ادعاء علم الغيب:

ادعاء الغيب قد يكون بواسطة قراءة الكف أو الفنجان أو الكهانة أو السحر أو التنجيم أو غير ذلك وهذا الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين من الإخبار عن مكان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة وعن أسباب بعض الأمراض، فيقولون: فلان عمل لك كذا وكذا فمرضت بسببه، وإنما هو نتيجة لاستخدام الجن والشياطين، ويظهرون للناس أن هذا يحصل لهم عن طريق عمل هذه الأشياء من باب الخداع والتليس، وقد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم.

تعريف التنجيم:

وهو الاستدلال بأحوال النجوم على الحوادث الأرضية، فيقولون: من تزوج في نجم كذا وكذا حصل له كذا وكذا، ومن سافر في نجم كذا حصل له كذا، ومن ولد في نجم كذا وكذا حصل له كذا من السعد أو النحوس كما يعلن في بعض المجلات من الخزعبلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ.

(١) البقرة: ٢٥٥ من سورة البقرة

(٢) البقرة: ٢٥٥ من سورة البقرة

وقد يذهب بعض الجهال وضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمين فيسألهم عن مستقبل حياته وما يجري عليه فيه وعن زواجه وغير ذلك، ومن ادعى علم الغيب أو صدق من يدعيه فهو مشرك كافر، لأنه يدعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه. والنجوم مسخرة مخلوقة ليس لها من الأمر شيء ولا تدل على نحوس ولا سعود ولا موت ولا حياة. وليس من علم التنجيم المحرم تعلّم منازل الشمس والقمر ومعرفة النجوم للاستدلال بذلك على جهة القبلة وأوقات الصلوات والفصول، قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَنَّاكَ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾^(٢)

الأسئلة

- س١: ما المراد بالغيب؟ وما الدليل على اختصاص الله تعالى به؟
- س٢: من الذي يطلعه الله على شيء من الغيب؟ وما الحكمة في ذلك؟
- س٣: ما سبب إخبار الكهان عن بعض المغيبات؟
- س٤: عرف التنجيم، وما حكمه؟ مع التعليل.
- س٥: بين حكم ما يأتي:

- (أ) ذهاب بعض الناس إلى المنجمين ليسألهم عن مستقبل حياتهم.
- (ب) تعلم بعض الناس منازل الشمس والقمر لمعرفة جهة القبلة.
- (ج) تعلم بعض الناس منازل النجوم لمعرفة الفصول.
- (د) الإعلان في بعض المجالات حول البروج وما يجري فيها من المخطوط.

(١) الآية (١٦٦) من سورة النحل. (٢) الآية (١٧٧) من سورة الانعام.

الأنواء هي: النجوم:

ومعنى الاستسقاء بالأنواء: نسبة نزول المطر إلى طلوع النجم أو غروبه. وهذا على ما كانت تعتقده الجاهلية من أن طلوع النجم أو مغيبه يؤثر في إنزال المطر، فيقولون: مطرنا يتوء كذا وكذا، وهم يربطون بذلك النجم، ويعبرون عنه بالتوء وهو طلوع النجم من ناء يتوء إذا طلع.

وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمئة السنة كلها وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط - يغيب - في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ماعته، وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط العارب منها^(١).

وقد جاء الإسلام بإبطال هذا الزعم والنهي عنه فنزول المطر وانجباسه راجع إلى إرادة الله وتقديره وحكمته، وليس لطلوع النجوم تأثير في ذلك.

قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٢).

ويفسر هذه الآية ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: أصبح من الناس شاكرون ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أَقِمْ بِتَرْجِعِ الْجُومِ﴾^(٣)، حتى بلغ:

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(٤).

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»^(٥).

(١) نظم تخرج النووي على مسلم ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ (٢) الآية (٢٧) من سورة الواقعة.

(٣) رواه مسلم. كتاب الإيمان. باب بيان كفر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا. حديث رقم ١٢٧.

(٤) رواه البخاري. كتاب الاستسقاء. باب قول الله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. حديث رقم (٣٨١) ومسلم. كتاب الإيمان. باب بيان كفر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا. حديث رقم ١٢٧.

ففي هذا تحريم نسبة أفعال الله إلى غيره وأن ذلك كفر .

ولا يخلو حال مَنْ ينسب نزول المطر إلى غير الله مِنْ أحد أمرين :

الأول: أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم، فهذا كفر أكبر، لأنه إشراك في الربوبية، إذ لا خالق إلا الله .

الثاني: أن ينسب إنزال المطر إلى النجم باعتباره سبباً مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك، فهذا شرك أصغر . لأن الله لم يجعله سبباً لإنزال المطر . ولأنه من نسبة نعمة الله إلى غيره .

وقد جزم أهل العلم بتحريم قول: «مطرنا بنوء كذا» لما سبق من الأدلة، ولأن الباء تحتل معاني وكلها لا تصدق بهذا اللفظ فليست للسببية ولا للاستعانة - كما سبق - ولا تصدق أيضاً على أنها للمصاحبة؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه . وإنما يأتي المطر في الوقت الذي أراد الله برحمته وحكمته . فكل معنى تحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه فاسد .

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله فإنه الذي تفضل بها على عباده، فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره .

وهذا الموضع من محققات التوحيد، وبه يعرف كامل الإيمان وناقضه .

الأسئلة

س١: ما المراد بالاستسقاء بالانواء، وما موقف الإسلام منه؟

س٢: ما وجه دلالة قوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ على بطلان الاستسقاء بالانواء؟

س٣: بين حكم ما يلي مع التعليل:

(أ) نسبة أفعال الله إلى غيره .

(ب) اعتقاد أن الكواكب سبب في نزول المطر .

(ج) الاعتراف بنعم الله الظاهرة والباطنة ونسبتها إليه .

سبق الكلام عن الاستسقاء بالأنواء ونسبة المطر إليها. والكلام الآن عن نسبة النعم عموماً إلى غير الله.

فالواجب على الخلق الاعتراف بفضل الله وإنعامه، والقيام بشكره، وإضافة النعم إليه اعتقاداً وقولاً؛ وبذلك يتم التوحيد ويتحقق الإيمان.

ومن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر بالله، ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة إلى نفسه وعمله أو سعي غيره فهذا شرك أصغر منافٍ لكمال التوحيد، يجب التوبة منه.

والشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان:

١ - اعتراف القلب بنعم الله كلها.

٢ - التحدث بها وحمد الله عليها والثناء عليه بها.

٣ - الاستعانة بها على طاعة المنعم بها وعبادته، وهذا هو شكر الجوارح.

ولنسبة النعم إلى غير الله أمثلة كثيرة كنسبة بعضهم نزول المطر إلى آلهتهم فيقولون: هذا بشفاعه آلهتنا، وقول بعضهم - إذا طاب سير السفينة -: كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً. وقول: لولا فلان لكان كذا، وهذا مالي وزمته عن آبائي - متناسين بذلك المسبب الذي هو الله تعالى - ومن الأمثلة المعاصرة: قول بعضهم: تقدم الطب قضى على الأمراض، والخطط التسموية تقضي على الفقر والجهل، ونحو ذلك.

ومن الأمثلة أيضاً ما ذكره الله عن أقوام أنكروا نعمة الله عليهم، ونسبوا ما حصلوا عليه من المال والنعمة إلى غير الله؛ إما إلى كونهم يستحقونها أو إلى خبرتهم ومعرفتهم ومهارتهم. قال تعالى عن قارون الذي آتاه الله الكنوز العظيمة فيغنى على قومه، وقد وعظه الناصحون وأمرؤه بالاعتراف بنعمة الله وشكرها فكابر وقال: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾^(١) أي حصلت على هذه الكنوز بسبب حذقي ومعرفتي بوجوده المكاسب، لا أنها تفضل من الله تعالى، فكانت عاقبته من أسوأ العواقب حيث خسف الله به ويداره الأرض لما جحد نعمة الله ونسبها إلى غيره، وادّعى أنه حصل عليها بحوله وقوته. وما أخرى هؤلاء الذين اغتبروا في زماننا بما توصلوا إليه من مخترعات وقدرات أقدرهم الله

عليها امتحاناً لهم ، فلم يشكروا نعمة الله ، وصاروا يتشددون ويتفاخرون بحولهم وقوتهم ، وبغوا في الأرض بغير الحق ، وتناولوا على عباد الله ، ما أحراهم بالعقوبة .

فقد اغترت قبلهم عاد بقوتها ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَقَوتَةً أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقْنَاهُمْ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (٥١) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صِرَاصاً فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٥٢﴾ (١) .

الأسئلة

س١: ما الواجب على الإنسان تجاه نعم الله تعالى ، وما حكم من أنكر هذه النعم ؟

س٢: ما حكم نسبة الإنسان نعمة الله إلى سعيه واجتهاده بلسانه ؟

وما الموقف مما يبذله بعض الناس من جهود للتقدم والرفي من حيث نسبة النتائج والثمار ؟ مع التعليل .

س٣: اذكر مثالا لحال من نسب النعمة إلى نفسه ، مع بيان عاقبته .

س٤: ما أركان الشكر ؟ واذكر تطبيقاً لها على إحدى نعم الله .

١ - تعريف السحر:

لغة: ما خفي ولطف سببه، وسمي سحراً لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالابصار.
وشرعاً: عزائم وعقود ينفث فيها ورقي وكلام يتكلم به وأدوية وتدخينات. وله حقيقة، ومنه ما يؤثر في القلب والبدن فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.
وتأثيره بإذن الله الكوني القدرى، وهو عمل شيطاني - وكثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها - ولهذا قرنه الشارع بالشرك حيث يقول النبي ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن؟ قال: الإشراك بالله والسحر)^(١) الحديث.

حكم السحر:

السحر كفر وشرك يناقض العقيدة ويجب قتل متعاطيه، كما قتل جماعة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم السحرة، وقد تساهل الناس في شأن الساحر وربما عدوا ذلك فناً من الفنون التي يفتخرون بها وينحون أصحابها الجوائز والتشجيع، ويقيمون النوادي والمسابقات للسحرة ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين، وهذا من الجهل بالدين والتهاون بشأن العقيدة وتمكين للعابثين بها.

٢ - الكهانة والعرافة:

وهما ادعاء علم الغيب ومعرفة الأمور الغائبة كالإخبار بما سيحصل في الأرض، وأين مكان الشيء المفقود، وذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء. كما قال تعالى:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿١٠١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿١٠٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾^(٢)

وذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة فيلقها في أذن الكاهن ويكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة فيصدقه الناس بسبب تلك الكلمة التي سمعت من السماء.

(١) (العزائم: هو الذي يدعى بطريقة الأمن للخدمات يستعمل بها على المروق ومكان الصلاة وسمي لذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يجر عن الغيبات في المستقبل).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العرافة اسم للكاهن بالشمع والبرق والبرق من يتكلم في معرفة الأمور بهذا الطريق.

(٢) (ورد السحر في كتاب في هذا الباب من الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾ الآية ٣ من ١١٩، وسلمة كتاب الإيمان: بإيد القيان والبرهان: حديث رقم (٨٩) من ١١.

(٣) (الآيات ٢٢٢-٢٢٣ من سورة الشعراء).



الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدق من يدعي ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، والكهانة لا تخلو من الشرك فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه. وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)^(١).

خطر الكهنة والسحرة والعرافين على الناس:



ومما يجب التنبيه عليه والتنبيه له: أن السحرة والكهان والعرافين يعمثون بعقائد الناس بحيث يظهرون بمظهر الأطباء فيأمرون المرضى بالذبح لغير الله، بأن يذبحوا خروفاً صفته كذا وكذا أو دجاجة، أو يكتبون لهم الطلاسم الشركية والتعاويذ الشيطانية بصفة حروز يعلقونها في رقابهم أو يضعونها في صناديقهم أو في بيوتهم، والبعض الآخر يظهر بمظهر المخبر عن المغيصات وأماكن الأشياء المفقودة بحيث يأتيه الجاهل فيسألونه عن الأشياء الضائعة فيخبرهم بها أو يحضرها لهم بواسطة عملائه من الشياطين، وبعضهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق وكرامات كدخول النار ولا تؤثر فيه، وضرب نفسه بالسلاح، أو وضع نفسه تحت عجلات السيارة ولا تؤثر فيه، أو غير ذلك من الشعوذة التي هي في حقيقتها سحر من عمل الشيطان يجري على أيدي هؤلاء للفتنة، أو هي أمور تخيلية لا حقيقة لها بل هي حيل خفية يتعاطونها أمام الانتظار كعمل سحرة فرعون بالخيال والعصي.

مثال من دجل السحرة وتلبسهم:



قال شيخ الإسلام رحمه الله في مناظرته للسحرة البطائحية الأحمدية (الرفاعية): قال: (يعني شيخ البطائحية ورفع صوته: نحن لنا أحوال وكذا وكذا، وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها واختصاصهم بها، وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها، قال شيخ الإسلام: فقلت ورفعت صوتي و غضبت: أنا أخطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها، أي شيء فعلوه في النار فانا أصنع مثل ما تصنعون ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت: فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن تغسل جسومتنا بالخل والماء الحار، فسألني الأمراء والناس عن ذلك فقلت:

(١) (١) زاد المسند ج ٢ ص ٢٢٩، والحاكم ج ١ ص ٨، وصححه على شرطهما: وقال الذهبي: إسناده قوي، وأظهر سنن أبي داود كتاب الطب باب في الكاهن، والترمذي كتاب الطب، باب ما جاء في رفاعية بن رافع الخثعمي، وابن ماجه كتاب الطهارة باب النبي عز وجل الخثعمي، وكتاب أبي داود الطهارة باب من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ في سورة.

لأن لهم حيلةً في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء من دهن الضفادع وقشر السارنج وحجر الطلق فضج الناس بذلك، فأخذ يظهر القدرة فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلّي جسمنا بالكبريت، فقلت: فقم وأخذت أكرر عليه بالقيام إلى ذلك، فمدّ يديه يظهر خلع القميص. فقلت: لا، حتى تغسل بالماء الحار والخل فأظهر الوهم على عاداتهم فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشباً، أو قال حزمة حطب فقلت: هذا تطويل وتضريق للجمع ولا يحصل به مقصود، بل قنديل يوقد وأدخل أصبعي وأصبغك فيه بعد الغسل ومن احترقت أصبعه فعليه لعنة الله أو قلت فهو مغلوب، فلما قلت ذلك تغير وذلّ انتهى^(١)، والمقصود منه بيان أن هؤلاء الدجالين يكذبون على الناس بمثل هذه الحيلة الخفية.

علاقتها بالشرك:



كل هذه الأمور أعمال شيطانية محرمة، تُخلّ بالعقيدة أو تناقضها لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية، فهي داخلة في الشرك من ناحيتين.

الناحية الأولى: ما فيها من استخدام الشياطين والتعلّق بهم والتقرّب إليهم بما يحبونه من طاعتهم وصرف شيء من العبادة لهم ليقوموا بخدمة الساحر، فالسحر من تعليم الشياطين-قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾^(٢).

الناحية الثانية: ما فيها من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(٣) أي: نصيب.

(١) مجموع الفتاوى (١٦/١٦٦-١٦٦).

(٢) الآية (١٠٢) من سورة البقرة.

الأسئلة

- س ١ : عرف السحر لغة وشرعاً ولماذا سمي السحر سحراً؟
- س ٢ : لماذا قرن السحر بالشرك؟ مع الاستدلال على ذلك.
- س ٣ : ما حكم متعاطي السحر؟ وماذا يجب نحوه؟ مع الاستدلال.
- س ٤ : ما الكهانة والعرافة؟ وما حكمهما؟
- س ٥ : اذكر صوراً تبين خطر الكهنة والسحرة والعرافين على الناس.
- س ٦ : ما حكم الذهاب إلى الكهانة والعرافين للعلاج عندهم؟ دلل على ما تقول.
- س ٧ : ما حكم تمكين الكهانة والعرافين من إظهار أعمالهم أمام الجمهور من المسلمين؟ علل ما تقول.
- س ٨ : ما وجه كون الكهانة شركاً في الربوبية وشركاً في الألوهية؟
- س ٩ : اذكر مثالا من دجل السحرة وتلبسهم.
- س ١٠ : ما علاقة السحر والكهانة والعرافة بالشرك؟

تعريف الرقى :



الرقى: جمع رقية وهي العوذة التي يُرقي بها صاحب الآفة كالحصى والصبر وغير ذلك من الآفات ويسمونها العزائم وهي على نوعين:

النوع الأول: ما كان خالياً من الشرك بأن يُقرأ على المريض شيء من القرآن أو يُعوذ بأسماء الله وصفاته فهذا مباح لأن النبي - ﷺ - قد رقى وأمر بالرقى وأجازها.

عن عوف بن مالك - رضى الله عنه - قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: (اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً) (١).

شروط الرقية الشرعية:



- قال السيوطي - رحمه الله -: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:
- (١) أن تكون بكلام الله أو بأسماء الله وصفاته أو بالأدعية النبوية.
 - (٢) أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه.
 - (٣) أن يعتقد أن الرقى لا تؤثر بذاتها، بل يتقدير الله تعالى (٢).

كيفيتها:



أن يقرأ وينث على المريض، أو يقرأ في ماء ويسقاه المريض، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا) (٣).

النوع الثاني: ما لم يخل من الشرك وهي الرقى التي يستعان فيها بغير الله من دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة به، كالرقى بأسماء الجن أو بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين فهذا دعاء لغير الله وهو شرك أكبر. وأما إن كان بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه فيخشى أن يدخلها كفر أو شرك ولا يعلم عنه فهذا النوع من الرقى ممنوع سداً للترعة.

(٢) فتح البعيد من ١٢٥ بتصرف.

(٣) إرواه مسلم كتاب السلام باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك حديث - ٢٢ من ١٧٧٧.

(٤) رواه البخاري كتاب الطب باب رقية النبي ﷺ وصلى الله عليه وآله وسلم كتاب السلام باب رقية المريض بالعوذات والفتل حديث ٢١٩٤ من ١٧٩٤. ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريقه على أصبعه اليسرى ثم يضعها على الفم فيقول بواحه شيء، أو يضع يده على الفم ويقول هذا في حال المسح.



تعريف التماائم :

التماائم: هي جمع تميمة وهي: ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين، وقد يعلق على الكبار من الرجال والنساء وهي على نوعين:

النوع الأول: ما كان من القرآن، بأن يكتب آيات من القرآن، أو من أسماء الله وصفاته ويعلقها للاستشفاء بها فهذا النوع قد اختلف العلماء في حكم تعليقه على قولين:

القول الأول: الجواز وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبو جعفر الباقر رحمه الله وأحمد بن حنبل رحمه الله في رواية عنه وحملوا الحديث الوارد في المنع على تعليق التماائم التي فيها شرك.

القول الثاني: المنع من ذلك وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما، وهو ظاهر قول حذيفة رضي الله عنه وعقبة بن عامر رضي الله عنه وابن عكيم رضي الله عنه وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الرقي والتماائم والتولة ^(١) شرك ^(٢))

وهذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة:

الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة فإنها تؤدي إلى تعليق ما ليس مباحاً.

الثالث: أنه إذا علق شيئاً من القرآن فلا بد أن يمتنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك ولا سيما إذا كان من الصبيان ^(٣).

النوع الثاني من التماائم:

وهي التي تعلق على الأشخاص من غير القرآن، كالحروز والعظام والودع والخيط والنعال والمسامير وأسماء الشياطين والجن والطلاسم، فهذا محرم قطعاً وهو من الشرك؛ لأنه تعلق بغير الله سبحانه وأسمائه وصفاته وآياته، وفي الحديث: (من تعلق شيئاً وكل إليه) ^(٤).

(١) التولة: شيء يصنعونه ويؤمنون أنه يبعد البراءة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

(٢) روى أبو داود، كتاب الطب، باب في تعليق التماائم حديثه ٣٨٨٢ وأن داود، كتاب الطب، باب تعليق التماائم حديثه ٣٤٣٠ وأحمد ج ١ ص ٢٨١ والبخاري ج ٤ ص ٢١٧.

والعوي لم يشرح الحديث ج ١٩ ص ١٥٦، ٢٤٧ ونظر كلام الأئمة في الصحيح ج ٦ حديث ٣٣١.

(٣) فتح الباع ج ١ ص ١٤١، روى أحمد ج ١ ص ٣١١، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١

أي وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلق به، فمن تعلق بالله والتجأ إليه وفوض أمره إليه كفاه وقرب إليه كل بعيد ويسر له كل عسير، ومن تعلق بغيره من المخلوقين والتمائم والأدوية والقبور وكله الله إلى ذلك الذي لا يغني عنه شيئاً ولا يملك له ضرراً ولا نفعاً فخر عقيدته وانقطعت صلته بربه وخلده الله

الواجب على المسلم:



الواجب على المسلم المحافظة على عقيدته مما يفسدها أو يخل بها فلا يتعاطى ما لا يجوز من الأدوية ولا يذهب إلى المخرفين والمشعوذين ليعالج عندهم من الأمراض؛ لأنهم يمرضون قلبه وعقيدته، ومن توكل على الله كفاه.

وبعض الناس يعلق هذه الأشياء على نفسه وليس فيه مرض حسي وإنما فيه مرض وهمي وهو الخوف من العين والحسد، أو يعلقها على سيارته أو دابته أو باب بيته أو دكانه وهذا كله من ضعف العقيدة وضعف توكله على الله، وضعف العقيدة هو المرض الحقيقي الذي يجب علاجه بمعرفة التوحيد والعقيدة الصحيحة.

تنبيه مهم:



الرقى غير الشرعية والتمائم إن اعتقد متخذها أنها تؤثر بذاتها أو اشتملت على تقرب إلى الشياطين فهي شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب غير مؤثر بذاته، والتأثير بتقدير الله فهي شرك أصغر.

الأسئلة



س١: عرف الرقى، وما أنواعها مع ذكر الأدلة؟

س٢: ما شروط الرقية الشرعية؟

س٣: عرف التيممة.

س٤: ما حكم تعليق التمام التي تكتب من القرآن أو من أسماء الله وصفاته مع التبرجيع والاستدلال على ذلك؟

س٥: ما حكم تعليق التمام التي من غير القرآن كالخرز والعظام ونحو ذلك مع الاستدلال؟

س٦: متى تكون الرقى غير الشرعية شركاً أكبر ومتى تكون شركاً أصغر؟

س٧: ما حكم الرقية بغير اللسان العربي أو بما لا يعرف معناه؟ ولماذا؟

تعريف الطيرة :



هي التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبِقَاع والأشخاص وغير ذلك . فإذا عزم شخص على أمر من الأمور فرأى أو سمع ما يكره أثر فيه ذلك أحد أمرين :

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازماً عليه تائراً بما رأى أو سمع ، فيعلق قلبه بذلك المكروه ، ويؤثر ذلك على إيمانه ويخل بتوحيده وتوكله على الله .

والأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي ، ولكنه يؤثر في قلبه حزناً وهمّاً وغماً فهذا وإن كان دون الأول لكنه ضرر على العبد وموهن لتوكله . وربما تدرج به إلى الأمر الأول .

فهذا التفصيل بين وجه ذم الشرع للطيرة ووجه مناقاتها للتوحيد والتوكل .
والواجب على من وجد شيئاً من ذلك في نفسه أن يجاهدها على دفعه ويستعين بالله ويتوكل عليه ويمضي في شأنه ، ولا يركن إلى هذا الشيء بل يقطع هاجس الطيرة قبل استقرارها .

والطير شرك؛ لما روى ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك»^(١) وذلك لكونه تعلق على غير الله ، واعتقاد بحصول الضرر من مخلوق لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، ولما فاتته التوكل .

وعن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله ﷺ: «ومنا أناس يتطيرون» قال: «ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»^(٢) . فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به ، فروعته وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده تائراً بما رآه أو سمعه .

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»^(٣) .

وقد بين النبي ﷺ الفأل بأنه الكلمة الطيبة ، وأخبر أنه يعجبه فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها ، وليس فيه شيء من الشرك .

(١) رواه أبو داود عنه كتابه الطب، باب الطيرة حديث رقم - ٣٨٩١ والترمذي: كتاب السرايا باب ما جاء في الطيرة حديث رقم ٦١١٤ . رواه: عبد الله بن أحمد بن حنبل صحيح

(٢) رواه مسلم: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وزياد الكهانة عن ١٥٤٨ حديث رقم ٥٣٧

(٣) رواه البخاري: كتاب الطب باب الفأل برقم (٥٧٥٦) ومسلم: كتاب السلام باب الطيرة والفأل برقم (١١٢٢٤)

وصفة ذلك: أن يعزم العبد على أمر ثم يرى في تلك الحال أو يسمع ما يسره مثل: يا راشد أو سالم أو غانم فيثفال ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه. فهذا كله خير وأثارة خير. وإنما أعجبه الفأل لأنه حسن ظن بالله، والعبد مأمور أن يحسن الظن بالله.

والطيرة سوء ظن بالله عز وجل، وتوقع للبلاء. ومن هنا جاء الفرق بينهما في الحكم؛ لأن الناس إذا أمثلوا الخير من الله علقوا قلوبهم به وتوكلوا عليه وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر والتعلق على غير الله.

الأسئلة

س ١: بين ما هو تطير وما ليس بتطير مما يلي:

- (أ) رجل خرج مسافراً لحاجة فرأى غراباً فرجع.
- (ب) رجل خسر في تجارته فقال: خسرت لأنني قابلت صباحاً رجلاً أعور.
- (ج) رجل خرج إلى دكانه فسمع رجلاً يقول: ربحت، ربحت، ففرح بذلك.
- (د) رجل مسافر فرأى في طريقه بومة، فاستمر في سفره.

س ٢: بين حكم الطيرة مع الدليل والتعليل.

س ٣: ما الفرق بين الطيرة والفأل؟

س ٤: ما العلاج لمن وجد في نفسه التطير؟

تقديم القرايين والنذور والهدايا للمزارات (١) والقبور وتعظيمها

الفصل
العاشم

لقد ساء النبي ﷺ كل الطرق المفضية إلى الشرك وحذر منها غاية التحذير، ومن ذلك مسألة القبور فقد وضع الضوابط الواقية من عبادتها والغلو في أصحابها ومن ذلك:

١ - أنه قد حذر ﷺ من الغلو في الأولياء والصالحين، لأن ذلك يؤدي إلى عبادتهم، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (با أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) (٢). وقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) (٣).

٢ - حذر ﷺ من البناء على القبور، كما روى أبو الهيثاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع عملاً إلا ظمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويت) وفي رواية (ولا صورة إلا طمسها) (٤). ونهى عن تخصيصها والبناء عليها، فعن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن تخصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه) (٥).

٣ - وحذر ﷺ من الصلاة عند القبور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً) (٦).

(١) لقرايات: جمع قرارة وهو ما يزار من القبور والأماكن بصفة التعبد. القرايين: جمع قرينة وهو ما يقرب به من النذور والذبايح والاضحية.

النذور: جمع نذر وهو ما يلزم المرء به نذراً من الطيبات.

(٢) روى الإمام أحمد المسند ج ١ ص ٦١٥ والنسائي كتاب غريب الحديث ج ٣ ص ٢٠٧ وابن ماجه كتاب غريب الحديث ج ٢ ص ٢٩ وهذا الحديث.

(٣) روى البخاري كتاب الطهارة باب قول الله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ آتِلِهَا الْإِلَهِ ح ٦ ص ١١٢.

(٤) روى مسلم كتاب الجنائز باب الأسم بنسوبة القبر حديث رقم ٩٦٩ ص ٩٦٩.

(٥) روى مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه حديث رقم ٩٧٠ ص ٩٦٧.

(٦) روى البخاري كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ ج ٢ ص ٦٠١ ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور حديث رقم ٢٢٩ ص ٣٧٦.

فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاء والدعاء به وسؤال حوائجهم واستئصال البركات منه ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له. انتهى^(١).

حكم تقديم النذور والقراين للمزارات:



تقديم النذور والقراين للمزارات شرك أكبر، سببه مخالفة هدي النبي ﷺ في الحالة التي يجب أن تكون عليها القبور، من عدم البناء عليها، وإقامة المساجد عليها، لأنها لما بنيت عليها القباب وأقيمت حولها المساجد والمزارات ظن الجاهل أن المدفونين فيها ينفعون أو يضررون، وأنهم يعيشون من استغاث بهم ويقضون حوائج من التجأ إليهم فقدموا لهم النذور والقراين، حتى صارت أوثاناً تعبد من دون الله، وقد قال النبي ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)^(٢) وما دعا بهذا الدعاء إلا لأنه سيحصل شيء من ذلك في غير قبره ﷺ وقد حصل في كثير من بلاد الإسلام، أما قبره فقد حماه الله ببركة دعائه ﷺ، وإن كان قد يحصل في مسجده شيء من المخالفات من بعض الجاهل أو الخرافين، لكنهم لا يقدرّون على الوصول إلى قبره ﷺ، لأن قبره في البيت وليس في المسجد وهو محوط بالجدران.

الأسئلة

س ١: ما حكم الوسائل التي تفضي إلى الشرك؟ وبين كيف سدها النبي ﷺ مستدلاً لما تقول.

س ٢: بين حكم ما يأتي مع التعليل:

(أ) تجصيص القبور والبناء عليها. (ب) الصلاة عند القبور.

(ج) إيقاد السرج، وإيقاف الوقوف على إيقاد القناديل على القبور.

(د) الدعاء للميت والترحم عليه وسؤال العافية له.

س ٣: ما الذي يستفاد من قول الرسول ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)؟ وعلى عبد قبره ﷺ؟ ولماذا؟

س ٤: اذكر خمسة أمثلة لمخالفة الناس سنة النبي ﷺ في القبور، وما الذي آلت إليه هذه المخالفة؟

(١) ١٠٠٠ للفتاوى ١١٢-١١٣ (٢١٩).

(٢) رواه أحمد ج ٢ ص ٢٤٦ (رواه مالك موطأ كتاب نفس الصلاة في القبر) وأبو داود في الصلاة ج ٢ ص ١٧٥.

تعريفها :



التمائيل جمع تماثل، وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان أو غيرها مما فيه روح. والنصب في الأصل: العَلَمُ وأحجار كان المشركون يذبحون عندها، والنصب التذكارية: تماثيل يقيمونها في الميادين ونحوها لإحياء ذكرى زعيم أو معظم على صورهم.

تصوير ذوات الأرواح وسيلة إلى الشرك:



لقد حذر النبي ﷺ من تصوير ذوات الأرواح، ولا سيما تصوير المعظمين من البشر كالعلماء والملوك والعباد والقادة والرؤساء، سواء أكان هذا التصوير عن طريق رسم الصورة على لوحة أو ورقة أو جدار أو ثوب، أم عن طريق النحت وبناء الصورة على هيئة التمثال، وتبني ﷺ عن تعليق الصور على الجدران ونحوها، وعن نصب التماثيل ومنها النصب التذكارية، لأن ذلك وسيلة إلى الشرك، فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ونصب الصور، وذلك أنه كان في قوم نوح رجال صالحون فلما ماتوا حزن عليهم قومهم فأوحى إليهم الشيطان أن انصبوا إلي مجالستهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسسوها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبِدَتْ^(١) ولما بعث الله نبيه نوحاً عليه السلام ينهى عن هذا الشرك الذي حصل بسبب تلك الصور التي نصبت امتنع قومه من قبول دعوته وأصرروا على عبادة تلك الصور المنصوبة التي تحولت إلى أوثان:

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(٢).

وهذه أسماء الرجال الذين صورت تلك الصور على أشكالهم إحياء لذكرياتهم وتعظيمهم لهم. فانظر إلى ما آل إليه الأمر بسبب هذه الانصاب التذكارية من الشرك بالله ومعاندة رسله، مما سبب إهلاكهم بالطوفان ومقتلهم عند الله وعند خلقه، مما يدل على خطورة التصوير ونصب الصور، ولهذا لعن

(١) سورة الشعراء: آيات النصب، القصص: آيات نوح ج ٦ ص ٧٣.

(٢) سورة الشعراء: آيات نوح.

حكم الاستهزاء بالدين:

يجب على المسلم تعظيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واحترام علماء المسلمين قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (١) كما ينبغي أن يعرف حكم من استهزا بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ ليكون المسلم على حذر من ذلك.

والاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام وخروج عن الدين بالكلية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَيَاللَّهِ وَعِيسَى وَرُسُلِهِ كُتِبَتْ قِسْمَةٌ وَتُكْفَرُ لَا تَعْبُدُوا أَفَكُفِّرُكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (٢) فهذه الآية تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وأن الاستهزاء بالرسول كفر، وأن الاستهزاء بآيات الله كفر فمن استهزا بواحد من هذه الأمور فهو مستهزئ بجميعها، والذي حصل من هؤلاء المنافقين أنهم استهزؤوا بالرسول وصحابته فنزلت الآية، فالاستهزاء بهذه الأمور متلزم.

من أسباب الاستهزاء:

الاستخفاف بتوحيد الله تعالى وتعظيم دعاء غيره من الأموات، فمن الناس من إذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْحَدُّ وَتَكَ الْأَهْزَاءُ أَهْذًا الَّذِي بِمَكَ اللَّهِ رَسُولًا﴾ (٣) إن كاد ليخيلن أني الهيأ لولا أن صبرت علىهما فاستهزؤوا بالرسول ﷺ لما نهاهم عن الشرك، وما زال المشركون يعيبون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد، لما في أنفسهم من تعظيم الشرك، وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزا به لما عنده من الشرك.

فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثاناً تجدهم يستهزؤون بما هو من توحيد الله وعبادته ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذباً ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذباً، وكثير من طوائف المبتدعة يرى أحدهم أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في

(١) الآية (٣٢) من سورة الحج (٢) الآية (١٧٦-١٧٧) من سورة طه (٣) الآية (١١١-١١٢) من سورة النور

المسجد عند السَّحَر، ويستَهْزئُ بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد، وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد^(١) فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسله وتعظيمهم للشرك^(٢)، وهذا كثير وقوعه في القبور يوم.

من صور الاستهزاء:



ما ورد من قول مَنْ نزلت فيهم الآية السابقة من سورة التوبة: ما رأينا مثل قرآننا هؤلاء أَرْغَبَ بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أَجَبَنَ عند اللقاء. أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين كقول بعضهم: إن الإسلام إنما يصلح للقرون الوسطى، وأنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقوقها، حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام.

ومن الاستهزاء: السخرية بمن يدعو إلى التوحيد أو ينكر الشرك وعبادة القبور أو يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، ومنه أيضاً الاستهزاء بالسنة الظاهرة كإعفاء اللحى وترك الإسبال، ومثله السخرية والاستهزاء بالحجاب ومواء أكان ذلك على وجه الجد والقصد أم الضحك واللعب تصريحاً واضحاً أو غمراً أو همزاً أو لمزاً فكله داخل في الاستهزاء المنهي عنه ودخل في التوعيد الشديد.

الأسئلة

- س١: ما حكم الاستهزاء بالدين مع الاستدلال على ذلك؟
- س٢: ما حجب الاستهزاء بالدين مع ذكر الدليل؟
- س٣: أذكر خمس صور من صور الاستهزاء بالدين.

(١) المشاهد: القبور المنيّة (٢) مجموع الفتاوى (١٤/١٥-١٦)

التشريع حق لله تعالى:

تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم والتي تفصل النزاع بينهم وتنهي الخصومات حق لله تعالى رب الناس وخالق الخلق، قال تعالى:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَسَاءَلُونَ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

وهو الذي يعلم ما يصلح عباده فيشرعه لهم، فيحكم ربوبيته لهم يشرع لهم، ويحكم عبوديتهم له يتقبلون أحكامه، والمصلحة في ذلك عائدة إليهم، قال تعالى:

﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ (٣).

فالتحليل والتحرير حق لله تعالى لا يجوز لأحد أن يشاكره فيه، قال تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِذَا تَفَسَّقُوا وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٤).

فجعل سبحانه وتعالى طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم الله شركاً به سبحانه.

فيجب على المسلم أن يحذر من التساهل في إطلاق التحليل والتحرير بغير علم ودليل، قال تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ (٥).

(١) الآية (١٠٤) من سورة النساء.

(٢) الآية (٨٢) من سورة النحل.

(٣) الآية (٢٢) من سورة الأهم الق.

(٤) الآية (١١) من سورة المائدة.

(٥) الآية (٢١٦) من سورة النحل.

وقال تعالى في التحذير من القول بلا علم في دين الله ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْإِثْمَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ (١١).
واستكر سبحانه أن يتخذ العباد مشرعاً غيره فقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ (١٢).

حكم قبول تشريع غير الله:

فمن قبل تشريعاً غير تشريع الله علماً بذلك مختاراً له غير مكره أو مضطر إليه فقد أشرك بالله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١٣). ولا يجوز لمسلم أن يطيع أحداً في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله؛ لقوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا آلِهَتَهُمْ وَرُءُسَهُمْ أَزْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١٤). ولما سمع عدي بن حاتم رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية، قال عدي: إنيهم لم يعبدوهم، فقال رسول الله ﷺ: «بلى إنيهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم» (١٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً—حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله—يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً - وإن لم يكونوا يصلُّون لهم ويسجدون لهم - فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين مشركاً حيث اعتقد ما قاله ذلك، دون ما قال الله ورسوله.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف». وقال ﷺ: «على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية».

(١١) الآية (٢١) من سورة الشورى.

(١٢) الآية (٢٣) من سورة الأعراف.

(١٣) الآية (٢١) من سورة البقرة.

(١٤) الآية (٢٥) من سورة الأعراف.

(١٥) رواه الترمذي في كتابه القسبي الفوائد، باب ومن سيرة النبوة، حديث رقم (١٥٠٠) وقال: حسن الحديث، والإمام أحمد رحمه الله تعالى.

وقال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». وقال ﷺ: «من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه»^(١).

وأما الأنظمة التي يستنها ولاية الأمر ولم يكن فيها مخالفة لأوامر الله ورسوله مما يقصد بها تنظيم أمور الرعية بما يجلب لهم المصالح أو يدفع عنهم المفسد ويحفظ حقوقهم، فليس بمنهي عنه شرعاً، ولا يدخل في تشريع ما لم يأذن به الله، ويلزم الرعية السمع والطاعة فيه وتعد مخالفته معصية.

وقد ذكر ابن القيم أن السياسة الشرعية هي كل فعل يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي^(٢).

الأسئلة

من ١: من الذي يستحق أن يشرع الأحكام وما الدليل على ذلك؟

من ٢: أكمل ما يأتي:

(أ) جعل سبحانه وتعالى طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم...

(ب) من قبل تشريعاً غير تشريع الله علماً بذلك غير جاهل، مختاراً له غير مكره أو مضطر إليه...

(ج) أن ما لم يشرعه الله ولا رسوله في السياسة والحكم بين الناس مما يخالف ما شرعه الله ورسوله...

فهو حكم...

(د) من أطاع مخلوقاً في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فلا يخلو من وجهين اذكرهما:

.....

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٧١٠-٧١١

(٢) المنهاج في الطريقة في السياسة الشرعية، الصفحة ١٢٣

من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته الخضوع لحكمه والرضا بشرعه والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ عند الاختلاف في الأقوال وفي الأصول وفي الخصومات وفي الدماء والأموال وسائر الحقوق، فإن الله هو الحكم وإليه الحكم. فيجب على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله، قال تعالى في حق الولاة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ ﴾ (١١).

ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۚ ﴾ (٢).

التحاكم إلى غير ما أنزل الله ينافي الإيمان:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ رَفَعُوا أَنفُسَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ قَلِيلًا بَعِيدًا ۚ ﴾ (٣).

إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۚ ﴾ (٤).

(١) الآية (٥٨) من سورة النساء (٢) الآية (٥٩) من سورة النساء
(٣) الآية (٦٠) من سورة النساء (٤) الآية (٦٥) من سورة النساء



المتحاكم إلى غير شرع الله له ثلاث حالات:

الأولى: من تحاكم إلى غير شرع الله ورغبة فيه ويرى أن ذلك سائع وهو مختار غير مكروه فهذا الفعل كفر لا يجتمع مع الإيمان.

الثانية: أن يعتقد وجوب التحاكم إلى شرع الله - عز وجل - لكنه تحاكم إلى غيره لهُوى أو مصانعة لأحد أو لمصلحة يطلبها مع إقراره أنه ارتكب معصية يستحق معها العقوبة، فهذا ينافي الإيمان الواجب ولكنه لا ينفي الإيمان بالكلية، أو يعني زوال الإيمان بالكلية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية: (فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً بحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً ولكن عصى واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة)^(١).

الثالثة: من تحاكم إلى غير شرع الله مكروهاً أو مضطراً أو جاهلاً فلا يدخل في أحكام الوعيد المتعلقة بمن تحاكم إلى غير شرع الله^(٢). لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.



عموم التحاكم بما أنزل الله في جميع مواطن النزاع:

ولا بد من الحكم بما أنزل الله والتحاكم إليه في جميع موارد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء، وفي المرافعات والخصومات في سائر الحقوق لا في الأحوال الشخصية فقط كما في بعض الدول التي تنسب إلى الإسلام، ولا يقبل من الأحكام إلا ما دل عليه الكتاب والسنة من غير تعصب لمذهب ولا تحيز لإمام.

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ١٣١).

(٢) سأل الشيخ عبدالرزاق عيسى ربيعة الله: ما حكم التحاكم إلى الحاكم الذي يحكم بالقوانين الوضعية؟
فاجاب: بقدر الإمكان لا يلزمك العهد، وإذا كان لا يمكن أن يستخلص أحد من طرفيها فلا بأس بخرجه عليه.
(الموسم ورسائل الشيخ عبدالرزاق عيسى، الصفحة ٣٦٥ العدد رقم ٢٠).



حكم من حكم بغير ما أنزل الله:

الحكم بغير ما أنزل الله نوعان:

النوع الأول: يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً مخرجاً من الملة إن اعتقده أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان بحكم الله واعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه وأنه لا يصلح لهذا الزمان أو أن تطبيق بعض الحدود فيه قسوة ووحشية.

النوع الثاني: يكون كفراً غير مخرج من الملة إذا اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاصي ويسمى كافراً كفراً أصغر.

كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير الآية ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١). قال: إنه ليس بالكفر الذي تذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة هو كفر دون كفر^(٢). وقال عطاء كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق. وقال طاووس إنه ليس بكفر ينقل عن الملة^(٣).

بخلاف ما لو جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأ فهذا مخطئ وله أجر على اجتهداده، وخطؤه مغفور^(٤).

مثل الشيخ ابن باز - رحمه الله - كما في رسالة «حوار حول مسائل التكفير» (ص/ ٢٠-٢٢) هذا السؤال: هل تبديل القوانين يعدُّ كفراً مخرجاً من الملة؟

فكان جوابه رحمه الله: «... إذا استباح الحكم بقانون غير الشريعة يكون كافراً كفراً أكبر، أما إذا فعل ذلك لأسباب خاصة عاصياً لله من أجل الرشوة، أو من أجل إرضاء فلان أو فلان، ويعلم أنه محرم يكون كفراً دون كفر».

كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. ﴿الْقَائِلُونَ﴾، قال: ليس كمن كفر بالله، ولكن كفر دون كفر.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين.

(٢) الآية (١١٤) من سورة المائدة.

(٣) أخرجه ابن عمر في تفسيره ٣/ ٥٢١ (٤) خروج الطحاوية ص ٣١٤/٣١٣



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن الحاكم إذا كان دنيئاً لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار، وإن كان عالماً لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار، وإذا حكم بلا عدل ولا علم أولى أن يكون من أهل النار^(١).

الأسئلة

س١: هل يجتمع التحاكم إلى غير ما أنزل الله مع الإيمان مع الاستدلال على ذلك؟

س٢: هل يكفي الحكم في بعض موارد النزاع أو القضايا بما أنزل الله كالأحوال الشخصية مع ترك جوانب أخرى يتحاكم فيها إلى غير شرع الله؟

(١) مجموع الفتاوى ٣٤/٣٨٨.

الانتماء إلى المذاهب الإلحادية مع الاعتقاد بأصولها المخالفة للدين كالشيوعية والعلمانية وغيرها ودة عن دين الإسلام، إذا كان المتسمي يعلم بمخالفة أصولها وقواعدها لدين الله وضررها على الإسلام والمسلمين.

وقد أمر الله بالانتماء إلى المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١).

وأما هذه المذاهب الإلحادية فمذاهب فاسدة؛ لأنها مؤسسة على الباطل، فالعلمانية تفصل الدين عن الحكم، والشيوعية تنكر وجود الخالق سبحانه وتعالى وتحارب الأديان السماوية.

أما انتماء المسلم لوطنه وقومه وحبهم وولاؤه ونصيحتهم لهم واجتهادهم فيما ينفعهم ويحقق اجتماع كلمتهم فلا يتنافى مع حبه لإخوانه المسلمين في أنحاء الأرض ولا يهدر حقوق الأخوة الإسلامية بينه وبين المسلمين قاطبة، وفي هذا رد عملي على أولئك الذين يسعون إلى تفريق المسلمين إلى جماعات وأحزاب لا يجوز للمسلم أن يتعصب لها، لأن الإسلام يرفض العصبيات والتعرات الجاهلية يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- أنه قال (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي بضرب برها وفاجرها ولا يتحاش عن مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه) (٣) وعنه أيضاً قال: قال -ﷺ-: (قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، والناس بنو آدم وآدم من تراب) (٤).

أثر الحزبيات في تفريق المسلمين:

الأصل أن المسلمين أمة واحدة كما أخبر الله عز وجل ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (٥).

(١) الآية (١٦٩) من سورة التوبة.

(٢) الآية (١٣٣) من سورة الحجرات.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمامة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الظن وبهم كل حلك والبريد الخروج على (طاعة ومعارضة الجماعة) حديث رقم ١٨٤٦ من (٧١) (١٧٧٠).

(٤) رواه الترمذي، كتاب التائب، باب فضل الشام واليمن، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الظاهر بالأصوات والنطق الترمذي.

(٥) الآية (٩٢) من سورة البقرة.

فلا يجوز أن يتفرق المسلمون تحت شعارات حزبية أو عصبية أو مادية أو غيرها- ولو تسمت بالاسلام-
 قيعادي بعضهم بعضاً ولا يوالي أحدهم ولا يحب إلا من كان متميلاً إلى حزبه أو جماعته، فتراه يستبيع
 غيبة مخالفه وسوء الظن به، ولا شك أن ذلك مما نهى الله عنه في قوله عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ
 اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بَعَثَةً إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى سَفَاخُوفٍ مِمَّنِ النَّارِ
 فَأَقْدَمَكُمُ فِيهَا كَذَلِكَ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ تَذَكُّونَ ۝﴾ (١). وقوله ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۚ مِنَ الَّذِينَ
 فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۚ كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَزِمُ الْغَيْبَ ۚ﴾ (٢). فالمسلمون يجمعهم الصراط المستقيم، وعماده
 الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنِ
 سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝﴾ (٣).

وحسب المسلمين من آثار الحزبية والتفرق إلى جماعات وأحزاب؛ أن تذهب ريعهم ويطمع فيهم
 عدوهم وتضعف شوكتهم وتتفرق صفوفهم وتبدد طاقاتهم وتختلف كلمتهم ويضعف ولاء بعضهم
 لبعض وغيرها من المفاسد التي هي من أهم أسباب ما آل إليه حال المسلمين اليوم.
 وأصبحت شعوبه تندفع اندفاعاً غريباً إلى إحياء هذه العصبية التي أماتها الإسلام والتغني بها وإحياء
 شعارها والافتخار بعهدا الذي تقدم على الإسلام وهو الذي يلح الإسلام على تسميته بالجاهلية، وقد
 من الله على المسلمين بالخروج عنها وحثهم على شكر هذه النعمة.

والطبيعي من المؤمن أن لا يذكر جاهلية تقادم عهدا أو قارب إلا بمقت وكراهية وامتعاض واقشعرار،
 وهل يذكر السجين المعضب الذي يطلق سراحه أيام اعتقاله وتعذيبه وامتتهانه إلا وعثرته قشعريرة، وهل يذكر
 البريء من علة شديدة طويلة أشرف منها على الموت أيام سقمه إلا وانكشف باله وأنشجع لونه (٤)-
 والواجب أن يعلم أن هذه الحزبيات عذاب بعثه الله على من أعرض عن شرعه وتكره لدينه كما قال تعالى:
 ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم مَّا بَعْضٌ ۚ﴾ (٥).

والتعصب للحزبيات يوجب رفض الحق الذي مع الآخرين كحال اليهود الذي قال الله فيهم:
 ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَمَّا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ فَكَفَرُوا بِهِمْ ۚ ثُمَّ نُفِخَ فِي الصورِ فَكُنُوا مَعَهُمْ ۚ﴾ (٦).

(١) الآية (١٠٤) من سورة الأعراف

(٢) الآية (٢٣٠-٢٣١) من سورة الفرقان

(٣) الآية (٢١٠) من سورة البقرة

(٤) الآية (١١٠) من سورة البقرة

(٥) الآية (١٠٤) من سورة الأعراف

(٦) الآية (١٠٤) من سورة الأعراف

النظرة المادية للحياة

هناك نظرتان للحياة، نظرة مادية للحياة ونظرة صحيحة، ولكل من النظرتين آثارها.

(أ) فالنظرة المادية للحياة معناها:

أن يكون تفكير الإنسان مقصوراً في تحصيل ملذاته العاجلة ويكون عمله محصوراً في نطاق ذلك، فلا يتجاوز تفكيره ما وراء ذلك من العواقب ولا يعمل له ولا يهتم بشأنه ولا يعلم أن الله جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للأخرة، فجعل الدنيا دار عمل وجعل الآخرة دار جزاء، فمن استغل دنياه بالعمل الصالح ربح الدارين ومن ضيع دنياه ضاعت آخرته: ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١).

فالله لم يخلق هذه الدنيا عبثاً بل خلقها لحكمة عظيمة، قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ رِيشَةً لِّمَن يَسْلُوهُمْ وَأَنبَأْنَاهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣). أوجد سبحانه في هذه الحياة من المتع العاجلة والزينة الظاهرة من الأموال والأولاد والجاه والسلطان وسائر المستلذات ما لا يعلمه إلا الله.

فمن الناس - وهم الأكثر - من قصر نظره على ظاهرها ومفاسدها ومتع نفسه بها ولم يتأمل في سرها، فانشغل بتحصيلها وجمعها والتمتع بها عن العمل لما بعدها، بل أنكر أن يكون هناك حياة غيرها كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلهَانَا الَّذِي يَمُنُّ بِمَبْعُوثَيْنِ﴾ (٤).

الوعيد لأصحاب النظرة المادية:

وقد توعد الله تعالى من هذه نظره للحياة فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِنَا غَفِلُونَ﴾ (٥) أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦).

(١) الآية ١١ من سورة الحج (٢) الآية ٢ من سورة الملك

(٣) الآية (١٧) من سورة الكهف (٤) الآية (٢٤) من سورة الأنعام

(٥) الآية ٨٠ من سورة يونس

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَسَّهَا نُوْفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلُوْهُمَا فَمَنْ لَمْ يُحِشْ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرْهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطْ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ (١١).

وهذا الوعيد يشمل أصحاب هذه النظرة سواء أكانوا من الذين يعملون عمل الآخرة يريدون به الحياة الدنيا كالمُنافقين والمُرائين بأعمالهم، أم كانوا من الكفار الذي لا يؤمنون بسبعث ولا حساب كحال أهل الجاهلية والمذاهب الهدامة من رأسمالية وشيوعية وعلمانية إلحادية، وأولئك لم يعرفوا قدر الحياة ولا تعدوا نظرتهم لها أن تكون كنظرة البهائم. بل هي أضل سبيلاً، لأنهم ألغوا عقولهم وسخروا طاقاتهم وضيعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم ولا يبقىون له، ولم يعملوا لمصيرهم الذي ينتظرهم ولا يد لهم منه، والبهائم ليس لها مصير ينتظرها وليس لها عقول تفكر بها بخلاف أولئك، ولهذا يقول تعالى فيهم:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٢﴾﴾ (١٢).

العلم الحقيقي:

وقد وصف الله أهل النظرة المادية بعدم العلم قال تعالى:

﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (١٣).

فهم وإن كانوا أهل خبرة في المخترعات والصناعات فهم جهال لا يستحقون أن يوصفوا بالعلم لأن علمهم لم يتجاوز ظاهر الحياة الدنيا، وهذا علم ناقص لا يستحق أصحابه أن يطلق عليهم هذا الاسم الشريف فيقال العلماء، وإنما يطلق هذا على أهل معرفة الله وخشيته، كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿١٥﴾﴾ (١٥).

ومن النظرة المادية للحياة الدنيا ما ذكره الله في قصة قارون وما آتاه الله من الكنوز:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِيتُ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (١٦).

فتمنوا مثله وغبطوه ووصفوه بالخط العظيم بناء على نظرتهم المادية، وهذا كما هو الحال الآن في الدول الكافرة وما عندهم من تقدم صناعي واقتصادي فإن ضعاف الإيمان من المسلمين ينظرون إليهم نظرة إعجاب دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر وما ينتظرهم من سوء المصير فتبعهم هذه النظرة الخاطئة إلى تعظيم الكفار واحترامهم في نفوسهم والتشبه بهم في أخلاقهم وعاداتهم السيئة، ولم يقلدوهم في الجِد وإعداد القوة والشئ النافع من المخترعات والصناعات.

(١٢) الآية (١١) من سورة النمل.

(١٣) الآية (٢٨) من سورة النمل.

(١٤) الآية (١٦) من سورة النمل.

(١٥) الآية (١٧) من سورة النمل.

(١٦) الآية (١٨) من سورة النمل.



هي أن يعتبر الإنسان ما في هذه الحياة من مال وسلطان وقوى مادية وسيلة يستعان بها لعمل الآخرة فالدنيا في الحقيقة لا تدم لذاتها، وإنما يتوجه المدح والذم إلى فعل العبد فيها فهي قنطرة ومعبر للآخرة ومنها زاد الجنة، وخير عيش يناله أهل الجنة إنما حصل لهم بما زرعوه في الدنيا.

فهي دار الجهاد والصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله ومضمار التسابق إلى الخيرات يقول الله تعالى لأهل الجنة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِمَّا آتَيْنَاكُمْ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١١). يعني الدنيا.

الأسئلة

س١: ما معنى النظرة المادية للحياة وما مقاصدها؟ وما النظرة الصحيحة للحياة مع الأدلة على ذلك؟

س٢: هل الدنيا تدم لذاتها، ولماذا؟

س٣: بم توعده الله أصحاب النظرة المادية للحياة مع الدليل؟

س٤: ما الدليل على نفي الله العلم عن أصحاب النظرة المادية، وكيف تجمع بين ذلك وبين خبرتهم في الصناعات والمخترعات؟

س٥: ما المقصود بالعلم الحقيقي مع الدليل؟

الفصل الدراسي الثاني

الحلف بغير الله والتوسل والاستعانة بالخلق

الفصل
السابع
عشر

(أ) الحلف بغير الله :



(أ) الحلف: هو اليمين-وهي تأكيد الحكم بذكر معظم على وجه مخصوص. وهو تعظيم للمحلول به، وهذا التعظيم حق لله تعالى لا يجوز الحلف بغيره، فقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بأسمائه وصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره^(١).

حكم الحلف بغير الله:



والحلف بغير الله شرك؛ لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)^(٢) وهو شرك أصغر، إلا إذا كان المحلول به معظماً عند الحالف إلى درجة عبادته له فهذا شرك أكبر، كما هو الحال اليوم عند عباد القبور فإنهم يخافون من يعظمون من أصحاب القبور أكثر من خوفهم من الله وتعظيمه بحيث إذا طلب من أحدهم أن يحلف بالولي الذي يعظمه لم يحلف به إلا إذا كان صادقاً، وإذا طلب منه أن يحلف بالله حلف به وإن كان كاذباً، فالحلف تعظيم للمحلول به ولا يليق إلا بالله ويجب توقيف اليمين بالله فلا يكسر منها قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْلَعُ كُلَّ حَلْفٍ مِمْيْنٍ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَأَحْضَرُوا أَيْمَنَهُمْ﴾^(٤) أي: لا تحلفوا إلا عند الحاجة وفي حالة الصدق والبر، لأن كثرة الحلف والكذب فيه يدلان على الاستخفاف بالله وعدم التعظيم له وهذا ينافي كمال التوحيد، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) وجاء فيه: (ورجل يجعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينته ولا يبيع إلا بيمينته)^(٥). ففيه شدة الوعيد على كثرة الحلف مما يدل على تحريمه احتراماً لاسم الله تعالى وتعظيماً له سبحانه وكذلك يحرم الحلف بالله كاذباً وقد وصف الله المنافقين بأنهم يحلفون على الكذب وهم يعلمون. فتلخص من ذلك:

١ - تحريم الحلف بغير الله تعالى كالحلف بالأمانة أو الكعبة أو بالنبي ﷺ وأن ذلك شرك.

(١) (٣١) (١٠٤٧-١٠٤٨) من سورة الفتح.

(٢) عدم تنزيهه في موعود الشرك من ١١.

(٣) جاثية ابن قاسم على كتاب التوحيد من ٣-٣.

(٤) (٥) رواه الطبراني في المعجم رقم ١١١١ (المتخرج من ٢١) يسنن صحيح.

(٥) الآية (٨٩) من سورة النفاذ.

٢ - تحريم الحلف بالله كاذباً متعمداً.

٣ - تحريم كثرة الحلف بالله ولو كان صادقاً إذا لم تدع إليه حاجة لأن هذا استخفاف بالله سبحانه.

٤ - جواز الحلف بالله إذا كان صادقاً وعند الحاجة.

(ب) التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى:



التوسل: هو التقرب إلى الشيء والتوصل إليه، والوسيلة القرينة، قال الله تعالى:

﴿وَاتَّبِعُوا إِلَهَ الْوَسِيلَةِ﴾^(١) أي القرينة إليه سبحانه بطاعته واتباع مرضاته.

أقسام التوسل:



التوسل قسمان:

القسم الأول- توسل مشروع، وهو أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته كما أمر الله تعالى بذلك في قوله:

﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل كما قال تعالى

عن أهل الإيمان: ﴿وَبَنَّا إِبْرَاهِيمَ إِيمَانًا وَنَبَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا وَبَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَثَارِ﴾^(٣).

وحكما في حديث الثلاثة الذين انطليقت عليهم الصخرة فسدت عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج

فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم^(٤).

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده كما توسل يونس عليه السلام:

﴿فَكَرِهِيَ الْقَوْمَ فَلَمَّا آلَ الْلُطْفُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾^(٥).

النوع الرابع: التوسل إلى الله بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله كما قال أيوب عليه السلام:

﴿إِنِّي مَسْكِينٌ ضَلُوعٌ وَأَتَاكَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(٦).

(١) الآية (٢٥٨) من سورة المائدة - (١١) من سورة الأنعام - (٢٣) من سورة الفرقان.

(٢) أخرجه صحيح البخاري، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به المسلم من الدعاء والقرينة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال - حديث (٢٧٤٣) من ١٩٠.

(٣) الآية (١٥٦) من سورة الأنعام.

(٤) الآية (١٥٦) من سورة الأنعام.

(٥) الآية (١٥٦) من سورة الأنعام.

النوع الخامس: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء، كما كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس رضي الله عنه فيدعو لهم^(١).

النوع السادس: التوسل إلى الله بالاعتراف بالذنب: قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾^(٢) وقال تعالى حكاية عن آدم وزوجته: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّوْ تَعْفُرْنَا وَرَحْمَةً لَّكَ بِنَا الْخَاسِرِينَ ﴾^(٣).

القسم الثاني - توسل ممنوع:

وهو التوسل بما عدا الأنواع المذكورة في التوسل المشروع كالطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، والتوسل بجاء النبي ﷺ، والتوسل بذوات المخلوقين أو حقهم، وتفصيل ذلك كما يلي:

١- طلب الدعاء من الأموات:

وهذا لا يجوز، لأن الميت لا يقدر على الدعاء كما كان يقدر عليه في الحياة، وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ومن يحضرتهما من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس ويزيد بن الأسود رضي الله عنهما، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا عند غيره، بل عدلوا إلى البديل كالعباس ويزيد، وقد قال عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل بعم نبينا فاسقنا، فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه.

وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا به^(٤) يعني لو كان جائزاً، فتركهم لذلك دليل على عدم جواز التوسل بالأموات لا بدعائهم ولا بشفاعتهم فلو كان طلب الدعاء منه والاستشفاع به حياً وميتاً سواء، لم يعدلوا عنه إلى غيره ممن هو دونه.

٢- التوسل بجاء النبي ﷺ أو بجاء غيره:

حكمه: لا يجوز؛ لأنه لا يصح فيه دليل وهو عبادة، والعبادات لا تثبت إلا بدليل صحيح صريح. وأما الحديث الذي فيه: (إذا سألت الله فاسأله بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) فهو حديث مكذوب

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْجَمْعَةِ، بَابُ اسْتِسْقَاءٍ، بَابُ سَوَالِ النَّاسِ الْإِمَامَ اسْتِسْقَاءَ إِنْ لَمْ يَخْطُوا ح ٣ ص ١٤ وكتاب التائب، باب ذكر العباس بن عبد المطلب ح ٩ ص ٢٠٩.

(٢) الآية (١١) من سورة القصص.

(٣) الآية (٢٢) من سورة الأعراف.

(٤) مجموع الفتاوى (٣١٨/١-٣١٩).

ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها.. ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث^(١)، وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ وهو أشرف الخلق فغيره من باب أولى.

٣- التوسل بذات المخلوقات:



حكمه: لا يجوز؛ لعدم ورود ما يدل على ذلك، والتوسل عبادة والعبادة يتوقف فيها عند النص، ثم إن المتوسل بذات المخلوق إن كان يقصد بالياء في قوله: أسألك بذات فلان القسم فهو إقسام به على الله تعالى، وإذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز ويُعدُّ شركاً كما في الحديث: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)^(٢) فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جل وعلا.

وإن كانت الياء للسمية فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سبباً للإجابة ولم يشرعه لعباده.

٤- التوسل بحق المخلوق:



لا يجوز لأمرين: الأول: أن الله سبحانه لا يجب عليه حق لأحد، وإنما هو الذي يتفضل سبحانه على المخلوق بذلك كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) فكون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق فضل وإنعام، وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق.

الثاني: أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حق خاص به لا علاقة لغيره به فإذا توسل به غير مستحقه كان متوسلاً بأمر أجنبي لا علاقة له به وهذا لا يجديهِ شيئاً.

وأما الحديث الذي فيه: (أسألك بحق السائلين) فهو حديث لم يثبت لأن في إسناده عطية العوفي وهو ضعيف مجمع على ضعفه كما قال بعض المحدثين، وما كان كذلك فإنه لا يحتاج به في هذه المسألة المهمة من أمور العقيدة ثم إنه ليس فيه توسل بحق شخص معين وإنما فيه التوسل بحق السائلين عموماً وبحق السائلين الإجابة كما وعدهم الله بذلك. وهو حق أوجبته على نفسه لهم لم يوجب به عليه أحد فهو توسل إليه بوعده الصادق لا بحق المخلوق.

(ج) حكم الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق:



الاستعانة: طلب العون والمؤازرة في الأمور.

والاستغاثة: طلب الغوث وهو إزالة الشدة.

(١) معجم المصنفين: ١/ ٢٩٩ - (٢) سنن ترمذ: ١٠٤٢ - (٣) سورة التوبة: ١١٩

الأسئلة

- من ١: عرف الخلف، وما حكم الخلف بغير الله مع ذكر الدليل على ذلك؟
- من ٢: ما حكم الإكثار من الخلف، وما حكم الخلف بالله كاذباً مع الاستدلال؟
- من ٣: عرف التوسل، وما المراد بالتوسيلة مع الدليل على ذلك؟
- من ٤: اذكر أنواع التوسل المشروع من خلال النصوص والآثار التالية:
- ١ - قال تعالى: ﴿ فَكَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ۚ فَاسْتَخَنَّفَ ﴾
 - ٢ - قال تعالى: ﴿ أَفَىٰ مَسْئِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
 - ٣ - حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم باب الغار فلم يستطيعوا الخروج.
 - ٤ - قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾
 - ٥ - قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُحْزَنُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
 - ٦ - كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من النبي أن يدعو لهم ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس فيدعو لهم.

من ٥: بين الحكم فيما يأتي مع التعليل والاستدلال:

- (أ) طلب الدعاء من الأموات . (جـ) التوسل بذات المخلوفين .
- (ب) التوسل بجاء النبي ﷺ . (د) التوسل بحق المخلوق .

من ٦: ما المراد بالاستعانة والاستغاثة؟

من ٧: بين الحكم فيما يأتي مع الاستدلال:

- (أ) الاستغاثة والاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه .
- (ب) الاستغاثة بالأموات .
- (جـ) الاستعانة بالأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله .

حسن الظن بالله من واجبات التوحيد:



لا يتم إيمان العبد وتوحيده حتى يعتقد جميع ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله، وتصديقه بكل ما أخبر به، وأن ما وعده به من نصر الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل سيقع. وكل ظن يتنافى ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد؛ لأنها سوء ظن بالله وتنقص لكماله وتكذيب لحبره وشك في وعده.

وقد ذم الله من أساء الظن به، وأخبر عن المشركين أنهم يظنون به ظن السوء؛ قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالطَّاغُوتَ بِاللَّهِ ظَنًّا سَوًّا عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١).

ووصف المنافقين بأنهم يظنون به غير الحق فقال تعالى: ﴿يُظَاهِرُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنًّا الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (٢). قال ابن القيم في تفسير هذه الآية: وقد فُسر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل. وفُسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره ولا حكمة له فيه. فُسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ويظهره على الدين كله. وهذا هو ظن السوء المذكور في آية الفتح. وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية، وظن غير الحق لأنه ظن لا يليق به سبحانه ولا بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستمرة يضمحل معها الحق أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يتحق عليها الحمد، فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وقبما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماء وصفاته وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

(١) الآية (٦) من سورة الفتح.

(٢) الآية (١٨٣) من سورة آل عمران.

ثم ذكر ابن القيم - رحمه الله - صورا من سوء الظن بالله - غير ما سبق - منها:

- ١ - من قنط من رحمته، وأيس من رَوْحِه فقد ظن به ظن السوء.
- ٢ - من ظن به أن يترك خلقه سدى، معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله ولا يتوكل عليهم كتبه بل يتركهم هملاً كالأنعام فقد ظن به ظن السوء.
- ٣ - من ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويبين خلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظن به ظن السوء.
- ٤ - من ظن أنه لا سمع له ولا بصر، ولا علم له ولا إرادة، وأنه لم يكلم أحداً من الخلق ولا يتكلم أبداً، وأنه ليس فوق سماواته على عرشه بائناً من خلقه فقد ظن به أقبح الظن وأسوأ.
- ٥ - من ظن أن له ولداً أو شريكاً أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويحبونهم كحبه ويخافونهم كخوفه فقد ظن به أقبح الظن وأسوأ.
- ٦ - من ظن بالله أن يخيب من تضرع إليه وسأله رغبة ورهبة واستعان به وتوكل عليه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله.
- ٧ - من ظن به - سبحانه وتعالى - أن يسلط على رسوله محمد ﷺ أعداءه دائماً في حياته وبعد مماته. وأنه ابتلاء بهم لا يفارقونه، فلما مات استبدوا بالأمر دون وصية، وظلموا أهل بيته وسلبوهم حقهم، وكانت العزة والغلبة والقهر لأعدائه وأعدائهم دائماً من غير ذنب لأوليائه وأهل الحق، وهو يرى قهرهم لهم وغضبهم إياهم حقهم وتبديلهم دين نبيهم، وهو يقدر على نصرة أوليائه وحزبه ولا ينصرهم، أو أنه لا يقدر على ذلك، بل حصل هذا بغير مشيئته ولا قدرته - تعالى عن ذلك - ثم جعل المبدلين لدينه مضجاجيه في حفرة، تسلم أمته عليه وعليهم كل وقت فقد ظن به أقبح الظن وأسوأ.

ولو فتشت من فتشته لرأيت عنده تعباً على القدر وملامة له، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك:
فإن تنج منها تنج من ذي عزيمة وإلا فياني لا إخالك ناجياً^(١)

(١) انظر زاد المعاد ٢: ٢٢٨-٢٣٦ باختصار. ويراجع للاستراداء من الأمانة على صموئيل الطن.

الأسئلة

س١: قارن بين حسن الظن بالله وسوء الظن به مبعثاته.

س٢: ممن يصدر سوء الظن بالله في الأصل؟ مع ذكر الدليل.

س٣: بين ما هو سوء ظن من الأقوال التالية:

(أ) رجل وُزق مالا كثيرا فقال آخر: إنه رزق بغير إرادة الله.

(ب) لن يتصر الله المسلمين في هذا العصر ولو تمسكوا بدينهم.

(ج) الحق والباطل في صراع فيتصر الحق تارة والباطل تارة.

(د) الله ما يحب لي الخير.

س٤: بين الطريق الصحيح للسلامة من سوء الظن بالله.

من الأشياء التي يرتكبها بعض الناس بحكم العادة وهي مما ينقص التوحيد، ويسيء إلى العقيدة مسببة الدهر، ومسببة الريخ وما أشبه ذلك من إسناد الذم إلى المخلوقات فيما ليس لها فيه تصرف فيكون هذا الذم في الحقيقة موجهاً إلى الله - سبحانه وتعالى - لأنه الخالق المتصرف.

قال تعالى عن المشركين:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار» (٢).

أقسام سب الدهر:

ينقسم سب الدهر إلى ثلاثة أقسام، هي:

- ١ - أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسببه الدهر أنه هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً؛ لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقاً فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلهاً يستحق أن يعبد فهو كافر.
- ٢ - أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده، فهذا محرم ولا يصل إلى درجة الشرك الأكبر.
- ٣ - أن يقصد الخير المحض دون اللوم فهذا جائز، مثل: أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخير، ومنه قول لوط عليه السلام: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيتُ﴾ (٣).

وكان من شأن العرب في الجاهلية ذم الدهر وسبه عند التوازل، وتبعهم على هذا كثير من الفساق

(١) الآية ٢١ من سورة الحاقة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحاقة، حديث رقم ٢٢٦٦، وصحيح مسلم، كتاب الألقاب من الألقاب، باب الدهر، من سب الدهر، حديث رقم (٢٢٦٦).

(٣) الآية ٧٧ من سورة هود.

ففي هذه الآية وصف الله المهاجرين بترك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونصرة دينه وإبتغاء فضله ورضوانه، وأنهم صادقون في ذلك، ووصف الأنصار بأنهم أهل دار الهجرة والنصرة والإيمان الصادق ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم ومواساتهم لهم وسلامتهم من الشح وبذلك حازوا على الفلاح.

هذه بعض فضائلهم العامة، وهناك فضائل خاصة ومراتب يُفَضَّلُ بها بعضهم بعضاً، رضي الله عنهم وذلك بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة، قال الطحاوي - رحمه الله -: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وجهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان^(١).

تفاضل الصحابة:

أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه ثم علي رضي الله عنه، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم طلحة رضي الله عنه والزبير رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وسعيد بن زيد رضي الله عنه، وبفضل المهاجرين على الأنصار، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، وبفضل من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح، قال تعالى:

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقِيمُوا سَبِيلَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَآتَيْنَا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ قَبْلَ الْمُنْجَمِ وَقَدْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ (٢١)

مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال والفتنة:

سبب الفتنة: تأمر اليهود على الإسلام وأهله فاندس فيهم مكرٌ حبيثٌ تظاهر بالإسلام كذباً وزوراً هو عبد الله بن سبا اليهودي، فأخذ هذا اليهودي ينث حقه وسومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين: عثمان رضي الله عنه وأرضاه، ويختلق التهم ضده، فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر وضعاف الإيمان ومحبي الفتنة، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه مظلوماً، وعلى إثر مقتله حصل الاختلاف بين المسلمين وشبت الفتنة بتحريض من هذا اليهودي وأتباعه وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : فلما قُتل عثمان رضي الله عنه تفرقت القلوب وعظمت الكرب، وظهرت الأشرار وذلت الأخيار، وسعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها، وعجز عن الخير والصلاح من

(١) العنونة الطبقانية مع كبر حجمها لا يقل عن الطول (٣٦).

$$= \frac{1}{\Gamma(\alpha)} \int_0^t (t-\tau)^{\alpha-1} f(\tau) d\tau + \frac{1}{\Gamma(\alpha)} \int_0^t (t-\tau)^{\alpha-1} g(\tau) d\tau$$

كان بحب إقامتها، فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أحق الناس بالخلافة حيثئذ وأفضل من بقي، لكن كانت القلوب متفرقة، ونار الفتنة متوقدة، فلم تنفك الكلمة، ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير ودخل في الفرقة والفتنة أقوام، وكان ما كان^(١). ومذهب أهل السنة والجماعة في الاختلاف الذي حصل والفتنة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة يتلخص في أمور:

الأمر الأول: أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة ويكفون عن البحث فيه، لأن طريق السلامة هو السكوت عن مثل هذا، ويقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

الأمر الثاني: الإجابة عن الآثار المروية في مساوئهم وذلك من وجوه:

الأول: أن هذه الآثار منها ما هو كذب قد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم.

الثاني: أن هذه الآثار منها ما قد زيد ونقص فيه وغير عن وجهه الصحيح ودخله الكذب، فهو محرف لا يلتفت إليه.

الثالث: أن ما صح من هذه الآثار - وهو القليل - هم فيه معذورون، لأنهم إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد والخطأ مغفور، لما في الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)^(٣).

الأمر الثالث: أنهم يشتر يجوز على أفرادهم الخطأ فهم ليسوا معصومين من الذنوب بالنسبة للأفراد، لكن ما يقع منهم فله مكفرات عديدة، منها:

- ١ - أن يكون قد تاب منه، والتوبة تحو السيئة مهما كانت، كما جاءت به الأدلة.
- ٢ - أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم - إن صدر - قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٤). ولهم من الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ ما يغمر الخطأ الجزئي.

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣- ٥).

(٢) الآية (١) من سورة الحشر.

(٣) في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه البخاري كتاب الاختصاص بالكتاب والسنن باب أم الحاكم إن اجتهد فأصاب أو أخطأ ج ٨ ص ١٨٧. ومسلم كتاب الأضحية باب بيان

أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ حديث ١٧١٥ من ١٣٤٩.

(٤) الآية (١١٤) من سورة هود.

٣ - أنهم تضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم ولا يساويهم أحد في الفضل وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المدة من أحدهم إذا تصدق به أفضل من جبل أحد ذهباً إذا تصدق به غيرهم^(١) رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله تعالى يغفر لهم بالتوبة ويرفع بها درجاتهم ويغفر لهم بحسنات ماحية أو بغير ذلك من الأسباب^(٢).

من مسالك أهل البدع وأعداء الدين استغلال ما حدث بين الصحابة:

وقد اتخذ أعداء الله ما وقع بين الصحابة وقت الفتنة من الاختلاف والأقتال سبباً للوقعة فيهم والنيل من كرامتهم، وقد جرى على هذا المخطط الخبيث بعض الكُتَّاب المعاصرين الذين يهرفون بما لا يعرفون فجعلوا أنفسهم حكماً بين أصحاب رسول الله ﷺ يصوبون بعضهم ويخطئون بعضهم بلا دليل، بل بالجهل واتباع الهوى وترديد ما يقوله المغرضون والحاقدون من المستشرقين وأذئابهم، حتى شككوا بعض ناشئة المسلمين من ثقافتهم ضحلة بتاريخ أمتهم المجيد، وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون لينفذوا بالتالي إلى الطعن في الإسلام وتفريق كلمة المسلمين، وإلقاء البغض في قلوب آخر هذه الأمة لأولها بدلاً من الاقتداء بالسلف الصالح والعمل بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

(١) في الحديث الثاني عليه السلام البخاري كتاب فضائل الصحابة باب من أحب النبي ﷺ لو كنت مطلقاً خيلاً ع ١ ص ١٩١. وبسلم كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم حديث: ٢٥٢٠-٢٥٢١ ص ١٩٦٧.

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٩/٣٥٤).

(٣) ١٤٧/ ١١ من سورة البقرة.

النهي عن سب الصحابة:

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

وطاعة لرسول الله ﷺ في قوله: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدكم ولا يُصِيفَهُ) (٢).

ويُسرِّضون من الذين يسبون الصحابة رضي الله عنهم ويغضبونهم ويحسدون فضائلهم ويكفرون أكثرهم.

وأهل السنة يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم ويعتقدون أنهم خير القرون كما قال النبي ﷺ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة الحديث (٣).

قال أبو زرعة الرازي وهو من أجل شيوخ الإمام مسلم: إذا رأيت الرجل يتقصص امرأة من الصحابة فاعلم أنه زنديق وذلك أن القرآن حق، والرسول حق وما جاء به حق، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به البق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق.

قال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين: من سب أحداً من الصحابة مستحلاً كفر، وإن لم يستحل فسق، وعنه يكفر مطلقاً، ومن فسقهم أو طعن في دينهم أو كفرهم كفر (٤)، وقال تعالى في شأن الصحابة رضي الله عنهم:

﴿وَمَنْ لَمْ يُجِبْ دَعْوَةَ اللَّهِ أَنْخَرِ سَطْرَهُ فَإِنَّهُ فَاسِقٌ فَاسِقٌ عَلَى سَوَاءٍ، يَحِبُّ الزُّنُوحَ يَعْطِطُ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ (٥).

(١) الآية (٢٤) من سورة الفتح (٢) الحديث مرفوع عليه يقدم لخرجه في الصلوة السليمة

(٣) الحديث في الصحيحين البخاري كتاب التوكل باب لا يهدى على شدة حرصه إذا أتوا ح ٣ رقم ١٤١٩ وأبو مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٢٥٢١ ح ١٩١

(٤) خروج عقلة السفاري (٢/٣٨٨-٣٨٩) (٥) الآية (٢٤) من سورة الفتح

وقد استدلل الإمام مالك - رحمه الله - بهذه الآية على تكفير الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم . قال : لأنهم يبغضونهم ، ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية ، ووافقه غيره من العلماء على ذلك ^(١) .



النهي عن سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة:

يلي الصحابة في الفضيلة والكرامة والمنزلة أئمة الهدى من التابعين وأتباعهم من القرون المفضلة ومن جاء بعدهم ممن تبع الصحابة بإحسان كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّيِّئَاتِ الْأُولَى مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ^(٢) .

فلا يجوز تنقصهم وسبهم ، لأنهم أعلام هدى ، فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ الرَّسُولُ مِنْ بَعْدِي مَا تَبِعِيَ لَهُ الْهُدَى وَرَحِمَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تَوَلَّى مَا تَوَلَّى وَتَصَلَّى جَهَنَّمَ وَمَاءٌ مَصِيرٌ ﴾ ^(٣) .

قال شارح الطحاوية : فيجب على كل مسلم بعد موالاته الله ورسوله موالات المؤمنين ، كما نطق به القرآن خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم .

لهم الفضل علينا ، والمنة بالسبق وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا ، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ﴿ زَيْنًا أَمِيرًا وَلَا يَأْمُرُ بِالْإِثْمِ وَالْفَحْشَى وَلَا يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ ﴾ ^(٤) .

فإنهم خلفاء الرسول في أمته ، والمحيون لما مات من سنته فيهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول ﷺ ، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له في تركه من عذر .

وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها : عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله .

الثاني : عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول .

الثالث : اعتقاده أن الحكم منسوخ ^(٥) .

(١) انظر كتاب: الصواعق المحرقة على أهل الرقش والشلال والزلزلة لأبي حنيفة النعمان ٣٠٧/١ - ٣٠٨/١ طبعه مؤسسة الرسالة .

(٢) الآية (١٠٠) من سورة التوبة . (٣) الآية (١١٥) من سورة النساء .

(٤) الآية (١٠٠) من سورة الحشر .

(٥) انظر شرح الطحاوية بتفريع الآيات من ٤٩١ بصرى .

والخطأ من قدر العلماء بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم هو من طريقة المبتدعة، ومن مخططات أعداء الأمة للتشكيك في دين الإسلام ولإيقاع العداوة بين المسلمين، ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، وبث الفرقة بين الشباب والعلماء كما قد يقع أحياناً، فليستبه لذلك الذين يحطون من قدر الفقهاء ومن قدر الفقه الإسلامي ويزهدون في دراسته والانتفاع بما فيه من حق وصواب، فليعتزوا بفقهم وليحترموا علماءهم، ولا يتخذوا بالدعايات المضللة والمغرصة والله الموفق.

الأسئلة

- س ١ : من أهل البيت؟ وما الذي يجب في حقهم؟ وما شرط ذلك مع الاستدلال؟
- س ٢ : ما حكم الغلو في حق أهل البيت؟ وما حكم الجفاء فيه؟
- س ٣ : ما المراد بالصحابة؟ وما الذي يجب اعتقاده فيهم مستدلاً لذلك؟
- س ٤ : من أفضل الصحابة؟ اذكر ترتيبهم حسب الأفضلية.
- س ٥ : ما سبب الفتن التي وقعت في عهد الصحابة؟
- س ٦ : ما الذي يعتقده أهل السنة في الصحابة الذين عاصروا الفتنة واقتتلوا فيها وما اعتداهم عن ذلك؟
- س ٧ : ما حكم من سب الصحابة مع الاستدلال؟
- س ٨ : ما حكم سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة مستدلاً لما تقول؟
- س ٩ : ما الجواب عن خطأ بعض العلماء في بعض المسائل الفقهية؟



وقد ابتلى الله عباده بالفتن قال تعالى: ﴿وَيَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَاللَّيَافِتِ تَنْحَصُونَ﴾ (٢) وقال ﷺ: (تُعَرِّضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْخَصِيرِ عُدَا عُدَا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبُهَا) (٣) نَكَتَ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَكْرَهَا (٤) نَكَتَ فِيهِ نَكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلِيلَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا (٥) فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا نَافَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْأَشْرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا (٦) كَالْكُوزِ مُجْخِيًا (٧) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مَنْكِرًا (لَا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاءٍ) (٨) وَهَذِهِ الْفِتْنُ تَكُونُ عِلَابًا لِقَوْمٍ وَلِقَوْمٍ رَحْمَةً وَتُكْفِيرًا لِلْسَّيِّئَاتِ.

الأول : فتن شهوات كفتنة المال والنساء^(٩).

الثاني : فتن الشبهات كالأهواء التي أدت إلى ظهور البدع والقتال بين المسلمين وستحدث في موضوعنا هذا عن فتن الشبهات.

أسباب الفتن: للفتن أسباب منها:

(١) اتباع الهوى وفساد القصد، قال الله تعالى: ﴿يَدَّأُوْاْ وَإِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾^١. فالهوى يعمي ويصم ويجعل صاحبه يرى الحق باطلاً والباطل حقاً.

(ب) الإفراط والتشريط: فإن الغلو في الدين من أكبر أسباب الوقوع في القن، فما أوقع الخوارج في يدعتهم إلا الغلو، قال (عليه السلام): (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين حملهم على أن سفكوا دماءهم

(١) انظر المادتين ١٤٧٤ و ١٤٧٥ من قانون العقوبات، (٢) سورة الأنعام، (٣) (٤) انظر: د. محمد عبد الحليم عبد الله،

(١) لا توجد
(٢) المخرج الأيسر فقط لا يوجد فيه شيء
(٣) الزيار الملحق بملوك وبنات

١٧) استخلصنا اني ان الله يات بسحق لا يعرف علم ولا راي لا ينكر شيئا الا ما وفقه الله

١٨٨) (١) مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب إذا جاءك الصلاة فليطهّر، (٢) وهو غرضاً كما يدل (١٦٨/١) ج (٢٢٩)

(A) انظر للمحاضرات في جوار الشجر اذ: اخلقة الطفولة لا في السور.

واستحلوا محارمهم^(١) كما أن التفريط ومقابلة الغلو بالفضد نتج عنه بدعة الإرجاء.

(ج) اتباع المنشابه وترك المحكم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِن مَّا بَيْنَ يَدَيْكَ تُخَكِّمُ بِهِ أَمَّا الْكِتَابُ فَهُوَ مُبِينٌ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَدٌّ فَلَيْسَ بِذِي بَأْسٍ عَلَيْهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۚ﴾^(٢).

(د) الجهل بما جاء به النبي ﷺ (فقد تخفى آثار الرسالة في الأمكنة والأزمنة حتى لا يعرفوا ما جاء به الرسول ﷺ إما أن لا يعرفوا اللفظ وإما أن يعرفوا اللفظ ولا يعرفوا معناه، فحينئذ يصبرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة. ومن هنا وقع الشرك وتضريق الدين شيعاً كالفتن التي تحدث بالسيف، فالفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة)^(٣).

موقف المسلم من الفتن: حذر النبي ﷺ من الفتن وأرشد إلى ما يعصم منها وهو التمسك بسنته ﷺ، وبين ما على المسلم فعله وقت الفتن وإليك بيان بعض ذلك في النقاط الآتية:

(١) التعوذ من الفتن، وذلك في كل صلاة، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنه المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال)^(٤).

(ب) التمسك بالكتاب والسنة فإن التمسك بهما يقي العبد من الانحراف في عقيدته وعمله فلا يقع في فتنه فمن تمسك بهما وسار على هدى النبي ﷺ في دعوته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر عصم من الفتن. وإنما الفتنة في مخالفة هدي النبي ﷺ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنَّا وَلِيُّكُم مِّنْهُ هُدًى مِّنَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا حُكْمَ اللَّهِ فَتُفْزِلُوا ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ أَفْتَحْنَا الْقُلُوبَ لِلْغُلُوبِ ۖ وَلَا يَفْقَهُونَ ۖ﴾^(٥).

وقال ﷺ: (... أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدٌ حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)^(٦).

(ج) لزوم جماعة المسلمين وإمامهم إذا وقعت الفتن فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فيعتزل تلك الفرق كلها.

(١) روى ابن ماجه، كتاب القامطة، باب قدر عصي الزمى، ج ٢٩، ٣٠، ١/٢، ١، والحاكم في المستدرک، ١/١، ١٥٩، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) سورة آل عمران آية ٩. (٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ١٧/٨، ٣٠٣-٣٠٤.

(٤) روى مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ١/٢١٦، ج ٢٠، وأخر حديثه الشيخ في التعليل من الفتن في صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن.

(٥) سورة طه آية ١٢٣، ج ٩، ٦٠٩.

(٦) روى القرطبي في جملة عن الغرر بن سارية كتاب العلوم، باب ما جاء في الاختلاط بالبدعة، ١٤/٢، ج ٢٩٧، وقال: حديث حسن صحيح.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (نعم وفيه دخن) قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر)، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا). قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)^(١).

(د) الصبر على جور الولاة وعدم الخروج عليهم إلا إن وقع منهم كفر بواح، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ عينا: (أن بايعنا على السمع والطاعة في مشقتنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)^(٢).

(هـ) ترك السعي في الفتنة بأي طريق وكلما كان الإنسان أبعد منها كان أسلم من الوقوع فيها: فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنها ستكون فتن ألا تم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها. ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)، قال: فقال رجل: يا رسول الله! أرايت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: (يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء).

اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟ اللهم! هل بلغت؟ قال: فقال رجل: يا رسول الله أرايت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفيين أو إحدى الفئتين فضررتي رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: (يؤء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار)^(٣).

الأسئلة

- س١: عرف الفتنة، وما أنواعها؟
- س٢: ما أسباب الفتن؟ مع ذكر الأدلة على ذلك.
- س٣: ما موقف المسلم من الفتن؟

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتا، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٩٢/٨ ح ٨١-٧٠.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب يقول النبي ﷺ استروا بعدي أمورا تتركونها ٨٧/٨ ح ٢٢٤-٧٠.
(٣) رواه مسلم كتاب الفتن والمطالع الساعات، باب نزول الفتن كمواقع القطر ٢٢١٢-٢٢١٣ ح ٢٨٧٧.

مقدمة:



تحرص المجتمعات على توثيق العلاقة بين الأفراد المتسمين لها وربطهم بوشائج من التقارب والتألف والحقوق المشتركة، وربما نزع كثير منها إلى الغلو في حقوق أفرادها في مقابل هضم حقوق الآخرين، والغاية من دراسة هذا الموضوع: بيان ما يجب على المسلم تجاه إخوانه ومجتمعه وأمته، وما يجب عليه تجاه غير المسلمين.

١ - تعريف الولاء والبراء:



الولاء في اللغة مصدر والى فلاناً بمعنى أحبه وناصره وقرب منه .
وفي الشرع: القرب من المسلمين بمودتهم ومناصرتهم .
والبراء في اللغة يطلق على معانٍ منها: التباعد من الشيء ومفارقتة .
وفي الشرع: التباعد من الكفر واجتناب مشابهة أهله في عقائدهم وأعمالهم الباطلة وعدم مناصرتهم على المسلمين .

٢ - مكانة الولاء والبراء في الإسلام:



إن من لوازم التوحيد أن توالي أهله وتستبرأ ممن عادى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَرُسُوا لِلَّذِينَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ عَادَى الَّذِينَ آمَنُوا قُلُوبُهُمْ مُكَوَّمَةٌ مَقَرًّا وَمُقَرَّبَةٌ ۚ وَالَّذِينَ يَبِغُونَ الْفِتْنَةَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ﴾ (١)،

(١) الآية (٨٨-٩٠) من سورة المائدة.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَهُيهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (١)
 الآية، وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا قَوْمًا يُمُونُوكَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا
 آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (٢).

كما أن للولاء والبراء في السنة مكانة عظيمة فهما من أوثق عرى الإيمان، كما في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) (٣).
 فتبين من هذه الأدلة وجوب موالاة المؤمنين والبراءة من أعدائهم وبيان ما في ذلك من الخير الكثير.

٣- من لوازم موالاة المؤمنين:



١- الأخوة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٤) وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) (٥) فيجب على كل مسلم أن يرعى حق الأخوة؛ ومن تحقيق هذه الأخوة الوقوف مع المسلمين في حال السر والعسر والرخاء والشدة وحب الخير لهم، والتعرف على أحوالهم، والاهتمام بقضاياهم وبذل الوسع والجهد في نصرتهم.

قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (٦) وقال ﷺ: (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك
 أصابعه) (٧).

(١) الآية (١٩) من سورة الممتحنة.

(٢) الآية (١٩) من سورة الممتحنة.

(٣) رواه الشيخ في السنة في الصفحة ٥٤، رقم (٢٤٣٢٨) والعلامة في مسند (١/١٠٢) وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٤٩٩٩).

(٤) الآية (١٠٦) من سورة الممتحنة.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه من صحيح أبي حمزة في صحيحه، رواه العلامة في صحيحه، رواه الشيخ في صحيحه، رقم (٢٥٦٤).

(٦) رواه الشيخ في صحيحه، رواه العلامة في صحيحه، رقم (٢٤٣٢٨) والعلامة في مسند (١/١٠٢) وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٤٩٩٩).

(٧) رواه الشيخ في صحيحه، رواه العلامة في صحيحه، رقم (٢٤٣٢٨) والعلامة في مسند (١/١٠٢) وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٤٩٩٩).

ب- المناصرة:

وهي معاونتهم بالنفس والمال حسب الاستطاعة قال تعالى: ﴿وَلِإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ (الأعلى قَوْمٌ يَتَكَلَّمُ وَيَنْتَهِي عَنْ الْمُنْكَرِ) (١). وقال الرسول ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل يا رسول الله أنصره إن كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره، قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره) (٢)، فَمَنْ نُصِرَتْهُ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَيَحْمِيَهُ مِنْهُ بِالْحِكْمَةِ وَالرَّفْقِ.

ج- المناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٣) وقوله ﷺ: (الدين النصيحة قالها ثلاثاً، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (٤).

د. السمع والطاعة لولاء الأمر:

إن وحدة المسلمين وأمنهم مطلب أساس في حياتهم، وهذا ما لا يمكن تحصيله إلا بالسمع والطاعة لولاء الأمر، والتزام الجماعة، ولذا فإن طاعة وللاء الأمر من مقتضيات موالاة المؤمنين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٥).

(١) الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٢) رواه البخاري كتاب الأئمة باب من يدين الرجل لنفسه له أمور - ج ٢٩٨٩.

(٣) الآية (٧١) من سورة التوبة.

(٤) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة بوجه (٤٥).

(٥) الآية (٢٤) من سورة النساء.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على عظم شأن اجتماع كلمة المسلمين ووحدتهم ولزوم جماعتهم، وحذرت من التفرق ونهت عن الخروج عن جماعة المسلمين وإمامهم، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، فمن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)^(٢) وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: (من رأى من أميره شياً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية)^(٣).

٤ - الفرق بين المداينة والمدارة:

المداينة هي: المصانعة مع ترك المناصحة، حيث يترك المداين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتغافل عن ذلك لغرض دنيوي أو هوى نفسي.

وقد حذر الله رسوله ﷺ مما طلبه المشركون منه من المداينة حيث قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْلَاهُمْ يَفْعَلُوهُمْ﴾^(٤).

المداواة: هي الملاينة التي تُدرا بها المفسدة والشر ويكون ذلك بالقول اللين وترك الغلظة والإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو خيف من حصول شر أكبر مما هو مقترف أو كان ممن ترجى هدايته.

(١) الآية ٢٥١، من سورة آل عمران.

(٢) روى البخاري كتاب الاحتكام، باب كيف بايع الإمام الناس، ج ١١٩٩ وسلم كتاب الإمامة باب وجوب طاعة الإمام، ج ١٧٦٨ واللفظ له.

(٣) روى البخاري كتاب الاحتكام، باب السمع والطاعة، ج ١١٢٤ وسلم كتاب الإمامة باب وجوب طاعة الجماعة المسلمة، ج ١٨٢٩ واللفظ له.

(٤) الآية ٩٨ من سورة النمل.



أ- من نماذج الموالاة في الله: موقف الانتصار- رضي الله تعالى عنهم- من إخوانهم المهاجرين- رضي الله عنهم والذي ذكره الله بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَضَّعُوا عَلَى أُنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ تَوَضَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١).
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي سكنوا دار الهجرة وآمن كثير منهم قبل كثير من المهاجرين وهم الانتصار
 ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم
 ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي مَدْورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ أي لا يجدون حسداً لإخوانهم على ما آتاهم الله من فضله،
 ﴿وَتَوَضَّعُوا عَلَى أُنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي يقدمون المحاويع على أنفسهم ولو كانوا هم محتاجين، فيقدمون دفع حاجة إخوانهم على دفع حاجة أنفسهم.

ب- من نماذج البراء: في حق الذين قاتلوا المسلمين وأذوهم ما ورد في سورة الممتحنة في قوله تعالى:
 ﴿إِن شِئْتُمْ اللَّهُمَّ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَطَعُوا فِي الْأَعْرَاجِ أَن تَقُولُوا هُمْ نَجَسٌ فَلَا لِلْغَافِلِينَ فِيهِمْ شَيْءٌ﴾ (٢).
 أما الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم فإن الله لم ينه عن برهم والإقساط إليهم كما قال سبحانه:
 ﴿لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٣).



(١) يجوز للمسلم أن يستعين بغير المسلم في بعض أمور حياته إذا وثق به، فقد استعان ﷺ وأبو بكر- رضي الله عنهما- بعبد الله بن أريقط الدؤلي ولم يكن مسلماً ليدلها في سفر الهجرة، كما استعان ﷺ بغير المسلمين في زراعة أرض خيبر لخبرتهم بذلك، وجعل لهم شطراً ما يخرج منها، وبناءً على ذلك لا يزال المسلمون يستفيدون من خبرات غيرهم في الطب والحساب والفلك والتجارة وغير ذلك.

(١) الآية (٩) من سورة الممتحنة.

(٢) الآية (٩) من سورة الممتحنة.

(٣) الآية (٨) من سورة الممتحنة.

(ب) يجوز لولي أمر المسلمين الاستعانة بغير المسلمين إذا وثق بهم وكان بالمسلمين حاجة لذلك، قال ابن القيم: (الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة؛ لأن عين النبي ﷺ في الحديبية كان غير مسلم من خزاعة، ويرى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن الانتفاع بغير المسلمين في بعض أمور الدين ليس مذموماً لقصة الخزاعي^(١)).

(ج) لا يجوز أن يجعل لغير المسلم سلطة عامة على المسلمين؛ لأن الله تعالى نهى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(٢). وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُم بِخَبَرٍ﴾^(٣).

٧- التعامل مع غير المسلمين:

وهم من حيث التعامل معهم على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المعاهدون على إقرارهم على دينهم وإقامتهم في بلاد المسلمين وتحت حمايتهم، وهؤلاء يجب الوفاء لهم بالعهد فلا يجوز الاعتداء عليهم في دمائهم وأموالهم أو حقوقهم؛ لأنها معصومة لا يحل شيء منها إلا بوجه شرعي؛ لقوله ﷺ: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)^(٤) وقوله ﷺ: (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة)^(٥).

النوع الثاني: المعاهدون على كفا القتال والمستأمنون وهم الذين لهم أمان، كسفراء الدول غير المسلمة والرسول والمندوبين ومن قدم لتجارة أو لمعرفة الإسلام فهؤلاء يحترمون في دمائهم وأموالهم وحقوقهم لقوله تعالى: ﴿وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقَ اللَّهَ مَأْمَنًا﴾^(٦).

(١) ملحق مصنفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بعض فوائد صلح الحديبية ص ٧.

(٢) آية (١٤١) من سورة النساء.

(٣) آية (١١٨) من سورة آل عمران.

(٤) ديوان البخاري، كتاب الخليفة والولاء، باب (ثم من قتل معاهداً بغير جرم، رقم (٣١٦٦)).

(٥) رواه أبو داود كتاب الجراح، باب في لعن أهل الذمة (في اصطلاح البخاري، رقم (٤٢٠٤)).

(٦) آية (٦٠) من سورة التوبة.

ولقوله عليه الصلاة والسلام : (إني لا أخيس «أي أنقض» بالعهد ولا أحبس البرد»^(١) .
النوع الثالث: المحاربون والمعتدون وهؤلاء قد أمر الله بردهم وعدوانهم وقتالهم، قال تعالى:
﴿ وَفَقْتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْسِدُوا إِيكَمُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِدِينَ ﴾^(٢) .

٨- نماذج من التعامل مع غير المسلمين:

أ- ما أمر الله به من الإحسان إلى الوالدين وإن كانا مشركين، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُكُمْ فِي الدِّينِ مَعْرُوفٌ ﴾^(٣) . وقال ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: (صلي أمك) حين سأله عن صلتها وهي مشركة^(٤)، وأهدى عمر رضي الله عنه لأخيه حلة قبل أن يسلم^(٥) .

ب- عدم إكراههم في الدين أو سب ألهمهم؛ لقوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(٦) وقوله تعالى:
﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾^(٧) .

ج- عيادة مريضهم ورعاية جوارهم بالإحسان إليهم؛ لقوله ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)^(٨) وهذا عام للمسلم وغيره.

وقد ذكر أهل العلم أن الجار المشرك له حق الجوار أخذاً من قوله تعالى:

﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾^(٩) (ولأن النبي ﷺ كان عنده غلام يهودي يخدمه فمريض فأتاه يعوده...)^(١٠) .

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الإسلام يستثنى به في اليهود، برقم (٢٧٥٨)، والتبصرة - المرحل.

(٢) آية (١٩) من سورة البقرة.

(٣) آية (١٥) من سورة لقمان.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها وأبها، برقم (٥٩٧٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الأخ المشرك، برقم (٥٩٨١).

(٦) آية (٢٥٦) من سورة الطه.

(٧) آية (٨) من سورة الأنعام.

(٨) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحديث على إكرام الجار والمضيف، برقم (٢٤٨).

(٩) آية (٣٦) من سورة النساء. (١٠) رواه البخاري، كتاب الحظائر، باب إذا أسلم العبي فمات هل يصل عليه؟ برقم (١٣٥٦).

د- جواز الاتجار مع غير المسلمين حتى مع الحريين، فلكل منهم دخول بلاد الآخر بأمان للتجارة؛ لأنه ﷺ أذن لثمامة بن أثال الحنفي أن يبيع الطعام من اليمامة لأهل مكة. فهذا التعامل جائز مع المحاربين كما جاز مع أهل الذمة بدليل أنه ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي^(١).

ويتلخص من هذا أن المحاربين من الكفار هم الذين يتصدى لهم المسلمون بالحرب، أما غير المحاربين من المعاهدين والمستأمنين فإن برهم والإحسان إليهم والتعامل معهم (ليس من الموالاة والمودة المنهي عنها، بل هو من الإحسان الذي يحبه الله ويرضاه وكتبه على كل شيء)^(٢).

أُسْئَلَةُ عَامَّةٌ عَلَى الْبَابِ:

سجدهم .

- س١ . عرف الولاء والبراء .
- س٢ . بين مكافئة الولاء والبراء في الإسلام .
- س٣ . بين لوازم موالاة المؤمنين .
- س٤ . ما الفرق بين المداهنة والمداراة؟
- س٥ . اذكر نموذجاً من الولاء .
- س٦ . اذكر نموذجاً من البراء .
- س٧ . ما حكم الاستعانة بغير المسلمين؟
- س٨ . اذكر أقسام غير المسلمين من حيث التعامل .
- س٩ . اذكر نماذج من التعامل مع غير المسلمين .

(١) كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم ص ١٠٠

(٢) رواه البخاري . كتاب البغية باب شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالنسيئة . رقم ٦٨١ - ٦٩٠

في البدع

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول : تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها.

الفصل الثاني : ظهور البدع في حياة المسلمين، والأسباب التي أدت إليها ومفاسدها.

الفصل الثالث : موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة، ومنهج السلف في الرد عليهم.

الفصل الرابع : نماذج من البدع المعاصرة وهي:

- ١- الاحتفال بالمولد النبوي.
- ٢- التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص.
- ٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله.

تعريف البدعة - أنواعها وأحكامها

تعريفها:



البدعة في اللغة: مأخوذة من البدع وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى:

﴿يَدْعُمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١) أي مخترعها على غير مثال سابق، وقوله تعالى:

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٢) أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل. ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتداء طريقة لم يسبق إليها.

البدعة في الشرع: ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة وعمل.

أقسام الابتداع:



الابتداع قسمان:

ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة، وابتداع في الدين وهذا محرم؛ لأن الأصل فيه التوقيف، قال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٣) وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٤).

أنواع البدعة:



البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة عملية كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أقسام:

- ١- ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة أو صياماً غير مشروع أصلاً أو أعياداً غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.
- ٢- ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.
- ٣- ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

(٣) «رواه البخاري» كتاب الصلح، إذا اصطبحوا على صلح جيد فالصلح مرادود، برقم (٢٦٩٧).

(١) الآية (١١٢) من سورة النجم. (٢) الآية (٢١) من سورة الأنعام.

(٤) تقدم شرحه تحت ١.

٤- ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:



كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة، لقوله ﷺ: (وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)^(١) وقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٢)، وفي رواية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٣) فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة.

فمثلها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقريباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والندور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية.

ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس^(٤).

تنبيه: حكم تقسيم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة:

من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فهو مخطئ ومخالف لقوله ﷺ: (فإن كل بدعة ضلالة) لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة، قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: فقله ﷺ: (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة. والدين بريء منه سواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة. انتهى^(٥).

(١) جزء من حديث طويل عن الغرر ابن سارية قال: رواه أبو داود كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث ٢٠٦٠-٢٠٦١ والترمذي كتاب الغرر باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع حديث ٢٢٧٦ وقال: حديث حسن صحيح. ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وأحمد وغيرهم وقال البزار: حديث ثلث صحيح، وقال ابن عمير: حديث ثابت.

(٢) تقدم شرحه أيضاً. (٣) رواه مسلم وأحمد تخريجه ص ١٠٩.

(٤) نظم الاصطفا للشاطبي ٢/ ٣٧. (٥) جامع العلوم والحكم ص ٢٢٢.



وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: (نعمت البدعة هذه). وقالوا أيضاً: إنها أحدثت أشياء لم يستكرها السلف مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك أن هذه الأمور لها أصل في الشرع فليست محدثة، وقول عمر: (نعمت البدعة)، يريد البدعة اللغوية لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل إنه بدعة فهو بدعة لغة لا شرعاً.

وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوباً متفرقاً فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد، حفظاً له، والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه وتخلف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إمام واحد كما كانوا خلف النبي ﷺ وليس هذا بدعة في الدين.

وكتابة الحديث أيضاً لها أصل في الشرع فقد أمر النبي ﷺ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذلك، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما توفي ﷺ انتفى هذا المحذور، لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته ﷺ، فدون المسلمون الحديث بعد ذلك حفظاً له من الضياع، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ من الضياع وعبت العابثين.

أَسْئَلَةُ

س١: عرف البدعة لغة وشرعاً.

س٢: ما حكم البدع في العادات والعبادات مع الاستدلال؟

س٣: اذكر أنواع البدع في الدين.

س٤: ما حكم البدعة في الدين مستدلاً في ذلك؟

س٥: كيف ترد على من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة؟

ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إليها ومفاسدها

الفصل
الثاني

ظهور البدع في حياة المسلمين وتحت مسألتان:



المسألة الأولى - وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: (من يعش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً، فعليكم بستي وستة الخلفاء الراشدين المهديين)^(١). وقد أنكر الصحابة على أهل هذه البدع^(٢).

المسألة الثانية - مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحَرَمَان - مكة والمدينة -، والعِرَاقَان - الكوفة والبصرة -، والشَّام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار أصول البدع غير المدينة النبوية، وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور هذه البدع وإن كان بها من هو مضمحل لذلك فكان عندهم مهاناً مذموراً.

فأما العصور الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة كما خرج من سائر الأمصار، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخلها^(٣) ولم يزل العلم والإيمان ظاهراً إلى زمن أصحاب مالك وهم من أهل القرن الرابع^(٤).

(١) تقدم لخصه في حكم البدعة ص ٢٧.

(٢) مصنف القادري (١/ ٣٥٤).

(٣) من أسرار مالك رحمه الله: (المدينة بأنها الدجال فيها لا يدخلها الدجال قال) ولا يطعمون ابن شاة الله (رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة ص ١٠٣). وفي موضع آخر كثيرة وأقرب مسلم، كتاب الحج، باب حجة المدينة من دخول أطعمون والدجال حديث ١٢٧٩.

(٤) مصنف القادري (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، تصوف وفتح برهانه للاستزادة منه.



عما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١).

وقد وضع ذلك النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ خَطَّ خَطوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: وَهَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٢).

فمن أعرض عن الكتاب والسنة تنازعت الطرق المضللة والبدع المحدثه. وتتلخص الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع في الأمور التالية:

(أ) الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قلَّ العلم وفشا الجهل، كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: (من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً) (٣)، وقوله: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) (٤) فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، فإذا فقد العلم والعلماء اتبعت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولاهلها أن ينشطوا.

(ب) اتباع الهوى:

من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلِهِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَنَبَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦). والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

(١) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام (٢) رواه أحمد داود ١٣٥، ١٦٥، وابن حبان والحاكم (٣) بيان لمخرجه من ١٢٧.

(٤) رواه البيهقي، كتاب العلم، باب كيف يلحق العلم بح ١ ص ٣٣ ومسلم كتاب العلم، باب وضع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتى في أكثر الزمان حديث ٢٧٧٢ ص ٥٨.

(٥) الآية (٥٠) من سورة القصص (٦) الآية (١٢٣) من سورة الحاقة.

(ج) التعصب للآراء والرجال:

يحول التعصب للآراء والرجال بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْعَأَ عَلَيْنَا آيَاتُهُ نَا ۝﴾ (١).

وهذا هو الشأن في المستعصين اليوم من بعض أتباع المذاهب الصوفية والقبوريين إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبت ما هم عليه مما يخالفهما احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

(د) التشبه بالكفار:

هو من أشد ما يوقع في البدع كما في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثاء عهد بكفر، وللمشركين ميمنةً يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿قَالُوا ائْتِنَا بِآيَةٍ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا فَاعْلَمْنَا بِكُفْرِهِمْ فَاسْجُدْ لِلشَّجَرَةِ الَّتِي بَعْدَ الْوَعْدِ ۚ﴾ (٢) لتركبن سنن من كان قبلكم (٣).

ففي هذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها، وهو الذي حمل بعض أصحاب محمد أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، وهذا نفس الواقع اليوم فإن غالب الناس من المسلمين قلّدوا الكفار في عمل البدع والشركيات كأعياد الموالد وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة والاحتفال بالمناسبات والذكريات وإقامة التماثيل والنصب التذكارية وإقامة المآتم وبدع الجنائز، والبناء على القبور وغير ذلك.

مفاسد البدع:



لظهور البدع وانتشارها مفاسد كثيرة، ويترتب عليها محاذير عظيمة، منها:

- ١- أن فيها تكذيباً لقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (٤) لأنه إذا جاء ببدعة جديدة يعتبرها ديناً، فمقتضاء أن الدين لم يكمل.
- ٢- أنها تستلزم القدح في الشريعة، وأنها ناقصة، فأكملها هذا المبتدع.

(٢) الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

(٣) رواه أحمد بن حنبل ٢١٨، والترمذي، كتاب الفتن باب ما جاء لترك سنن من كان قبلكم حديث ٢١٨ وقال: حسن صحيح.

(٤) الآية (٣) من سورة المائدة.

٣ - أنها تستلزم القدح في المسلمين الذين لم يأتوا بها؛ فكل من سبق هذه البدع من الناس دينهم ناقص! وهذا خطير!!

٤ - الانشغال عن السنن لأن الغالب أن من اشتغل ببدعة؛ انشغل عن سنة؛ كما قال بعض السلف: «ما أحدث قوم بدعة، إلا هدموا مثلها من السنة».

٥ - أن هذه البدع توجب تفرق الأمة؛ لأن هؤلاء المبتدعة يعتقدون أنهم هم أصحاب الحق، ومن سواهم على ضلال!! وأهل الحق يقولون: أنتم الذين على ضلال! فتتفرق قلوبهم.

فهذه مفاصد عظيمة، كلها تترتب على البدعة من حيث هي بدعة، مع أنه يتصل بهذه البدعة سفه في العقل وتحلل في الدين^(١).

أسئلة

س١ : حدّد الوقت الذي ظهرت فيه البدع.

س٢ : اذكر الأماكن التي ظهرت فيها البدع والمكان الذي لم تظهر فيه، وما مرجع ذلك؟

س٣ : ما الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع؟

س٤ : اذكر بعض مفاصد البدع ومحاذيرها العقلية.

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثيمين ٢/٣٩٦-٣٩٧.

موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة و منهج السلف في الرد عليهم

الفصل
الثالث

١ - موقف السلف من المبتدعة:

ما زال السلف يردون على المبتدعة وينكرون عليهم بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها وإليك نماذج من ذلك:

(أ) عن أم الدرداء رضي الله عنها-قالت: دخل عليّ أبو الدرداء مغضباً فقلت له: مالك، فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد ﷺ - إلا أنهم يصلون جميعاً^(١).

(ب) عن عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه فقال: كنّا نجلس على باب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: وما هو، قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلّقوا جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كَبُرُوا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هَلَّلُوا مائة فيهللون مائة فيقول: سَبَّحُوا مائة، فيُسَبِّحُونَ مائة، قال: فماذا قلت لهم، فقال: ما قلت لهم شيئاً انتظر رأيك، أو انتظر أمرك، قال: أقلاً أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمت لهم أن لا يضع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلقات فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتسهيل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن من أن لا يضع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلككم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا باب الضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم مرید للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة:

(١) رواه البخاري كتاب الأذان باب فضل صلاة الفجر في صلاة ج ١ ص ١٩٩.

رأينا عامة أولئك يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج^(١).

(ج) جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال: من أين أُحْرِمُ، فقال: من الميقات الذي وقَّع رسول الله ﷺ وأحرم منه، قال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه، فقال مالك: لا أرى ذلك، فقال: ما تكره من ذلك، قال: أكره عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في ازدياد الخير فقال مالك: فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢). وأي فتنة أعظم من أنك خصصت بفضل لم يختص به رسول الله ﷺ^(٣).

(د) عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة، قال: لا ولكن يعذبك على خلاف السنة^(٤). هذه نماذج ولا زال العلماء ينكرون على المبتدعة في كل عصر والحمد لله.

٢- منهج السلف في الرد على أهل البدع:

منهجهم في ذلك المنهج المقنع المقحم المبني على الكتاب والسنة، حيث يستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنة والنهي عن البدع والمحدثات إجمالاً ثم يوردون شبه المبتدعة وينقضونها.

المؤلفات في البدع والرد على المبتدعة:

لقد ألف علماء السلف مؤلفات عامة تتضمن الرد على المبتدعة في أصول الإيمان والعقيدة وذلك في الكتب المتعلقة بالعقائد مثل:

(١) كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -.

(٢) كتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري - رحمه الله -.

(٣) كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشيبة للإمام ابن قتيبة - رحمه الله -.

(٤) كتاب الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي - رحمه الله -.

كما ألفوا كتباً خاصة في الرد على أهل البدع منها:

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي - رحمه الله -.

(١) (١) الأمانة (١٦٣) من سورة التوبة.

(٢) (٢) دولة الدارمي القديمة باب في إثمها أحد الرأي حديث ٢٠٤.

(٣) (٣) دولة الدارمي ج ١ ص ١١٢ والسلف في السنن الكبرى ج ٢ ص ١٩١ بسند صحيح.

(٤) (٤) دولة الدارمي ج ١ ص ١١٢ والسلف في السنن الكبرى ج ٢ ص ١٩١ بسند صحيح.

- (٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءاً كبيراً منه .
- (٣) إنكار الحوادث والبدع لابن وضاح - رحمه الله - .
- (٤) الحوادث والبدع للطرطوشي - رحمه الله - .
- (٥) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة - رحمه الله - .
- كما ألقت كتب معاصرة في موضوع البدع ، منها : -
- ١ - كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ - رحمه الله - .
- ٢ - كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحواصدي رحمه الله .
- ٣ - رسالة التحذير من البدع للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله - .
- ٤ - القول المبين في رد بدع المبتدعين للشيخ عبد الله الخليلي - رحمه الله - .
- ولايزال علماء المسلمون - والحمد لله - ينكرون البدع ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخطب الجمع والسندوات والمحاضرات مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين .

أسئلة

- س١ : بين موقف أهل السنة من المبتدعة واذكر نماذج لذلك .
- س٢ : وضح منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع .
- س٣ : اذكر شيئاً من الكتب المؤلفة في الرد على أهل البدع .

وهي:

- ١- الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ.
 - ٢- التبرك بالاماكن والآثار والأموات ونحو ذلك.
 - ٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله.
- البدع المعاصرة كثيرة بحكم تأخر الزمن وقلة العلم وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات وسريان التشبه بالكفار في عاداتهم وطقوسهم مصداقاً لقوله ﷺ: (لتركن سنن من كان قبلكم)^(١).

١- الاحتفال بمناسبة مولد النبي ﷺ:

أ- إن من الواجب على كل مسلم محبة النبي ﷺ، إذ هي من أصول الدين الذي لا يتم الإيمان إلا به وعلى ذلك انعقد إجماع المسلمين، وكيف لا تجب محبته ﷺ وهو الذي أحبه الله تعالى واصطفاه وطهره وعصمه، وفضله على جميع ولد آدم، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأنبياء قبله. وهو الذي كمل الله به الرسالة، وهدى به من الضلالة، وألف به بعد الفرقة، وأغنى به بعد العيلة، فأصبح الناس بنعمة الله عز وجل إخواناً قال الله عز وجل ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ ضَلُّوا مُبِينًا﴾^(٢). ولا يحصل كمال الإيمان حتى يحب المسلم نبيه ﷺ أكثر من نفسه كما في الحديث: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣). وحديث: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ^(٤).

(١) تقدم تخريجه من ٩٧.

(٢) آية (٢٥٣) من سورة آل عمران.

(٣) تقدم تخريجه من ١٣١.

(٤) رواه البخاري، كتاب الإيمان والطور، باب كيف ثبت بين النبي صلى الله عليه وسلم، من رقم (٣٣٢٤).

وعلاوة صدق محبته ﷺ تكون في اتباعه والتمسك بسنته، والتخلق بأخلاقه، كما بين الله ذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١). وقد سبق الكلام مطولاً ومفصلاً في بيان محبته ﷺ وتعظيمه وبيان منزلة ووجوب طاعته والافتداء به وتعظيم سنته واتباعها وفضل الصلاة والسلام عليه - في الباب الثالث من هذا الكتاب.

ب- إن مما يؤسف له أن بعض المسلمين اليوم إما مقصر في حقوق المصطفى ﷺ فتراه ضعيف الاتباع لسنته قليل الصلاة والسلام عليه، أو واقع في الإطراء والغلو الذي لا يرضاه النبي ﷺ لما فيه من وصفه ﷺ بما لا يكون إلا لله عز وجل أو الابتداع لأجل محبته مالم يشرعه الله ولا رسوله، وقد قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (٢). متفق عليه، ومن ذلك: الاحتفال بمناسبة مولده ﷺ، فهو حرام؛ لأنه من البدع المحدثه، ولم يقل به أحد من الأئمة المعتبرين أو أهل العلم الراسخين، وهو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمى بالاحتفال بمولد المسيح، فيحتفل بعض المسلمين في ربيع الأول من كل سنة بمناسبة مولد الرسول ﷺ، فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد، ومنهم من يقيم في البيوت أو الأمكنة المعدة لذلك، ويحضر جموع كثيرة من دهماء الناس وعوامهم، يعملون ذلك إما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً وإما تشبهاً بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عليه السلام وبعض هذه الاحتفالات، علاوة على كونه بدعة وتشبهاً بالنصارى لا يخلو من الشراكيات والمنكرات كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول ﷺ إلى درجة دعائه من دون الله والاستغاثة به، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو في مدحه فقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) (٣). وربما يعتقدون أن الرسول ﷺ يحضر احتفالاتهم.

ومن المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات الأذكار البدعية والأناشيد الجماعية المنغمة وضرب الطبول، وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المستدعة، وقد يكون فيها اختلاط الرجال والنساء مما يسبب الفتنة ويجر إلى الوقوع في الفواحش وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير واقتصرت على الاجتماع وتناول الطعام في إظهار الفرح - كما يقولون - فإنه بدعة محدثة (وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وأيضاً هو وسيلة إلى أن يتطور ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات.

(١) آية (٣١) من سورة آل عمران.

(٢) رواه مسلم وأحمد لم يخرجه من ١-٢.

(٣) رواه البخاري وأحمد لم يخرجه من ١-٢.

وقلنا: إنه بدعة؛ لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخراً بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه العبيديون الباطنيون المتسمون بالفاطميين -زعموا-.

قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه الله: أما بعد، فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمل به بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبيناً والإيضاح عنه معيناً، فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطلون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للتصاري في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإن هذا لم يفعله السلف ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما محبته وتعظيمه في متابعتهم وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان^(٢).

وقد أُلّف في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وجديدة^(٣)، وهو علاوة على كونه بدعة وتشبيهاً فإنه يجر إلى إقامة موالد كموالد الأولياء والمشائخ والزعماء، فيفتح أبواب شر كثيرة.



٢- التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً:

من البدع المحدثّة التبرك بالمخلوقين فهي شبكة يصطاد بها المرتزقة أموال السذج من الناس.

والتبرك: طلب البركة وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة ويثبتها، أما المخلوق فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها ولا على إبقائها وتثبيتها.

(١) رسالة النور في أصل المولد، (٢) الفتاوى الصادرة عن الشيخين (١٦١٤/٢) بتحقيق الدكتور ناصر المنجد.

(٣) مثل: ١- التحليل من طريق الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، ٢- الاحتفال بالمولد بين الأديان والاعتدال لمعنيين معاً من فقهاء.

٣- المولد في عمل المولد تاج الدين الفاكهاني رحمه الله، ٤- حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من أحدثه للشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.



التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً لا يجوز لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة أو يجلب العافية ويزيد الرزق أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن ريارته وعلامته والتمسح به سبب لحصولها من الله، وأما ما كان الصحابة يفعلونه من التبرك بشعر النبي ﷺ وريقه وما انفصل من جسمه ﷺ كما تقدم^(١)، فذلك خاص به ﷺ في حال حياته ووجوده بينهم، بدليل أن الصحابة لم يكونوا يتبركون بحجرته وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صلى فيها أو جلس فيها، ليتبركوا بها، وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما - وغيرهما من أفاضل الصحابة لا في الحياة ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأمكنة من الجبال التي يقال إن فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد صبي على أثر نبي من الأنبياء، وأيضاً فإن المكان الذي كان النبي ﷺ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائماً لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله، ولا الموضع الذي صلى فيه النبي بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه بقدميه الكريمتين ويصلي عليه لم يشرع لأمنه التمسح به ولا تقبيله فكيف بما يقال أن غيره صلى فيه أو نام عليه، فتقبيل شيء من ذلك والتمسح به قد علم بالإضطرار من دين الإسلام أن هذا ليس من شريعته ﷺ^(٢).

٣- البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله:



البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة، والأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع شيء منها إلا بدليل، وما لم يدل عليه دليل فهو بدعة؛ لقوله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٣).

والعبادات التي تمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جداً، منها:

الجههر بالنية للصلاة: بأن يقول نويت أن أصلي لله كذا وكذا، هذه بدعة، لأنه ليس من سنة النبي ﷺ، ولأن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَعْلَمُوكَ اللَّهُ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

(١) في موضوع ملتصقات بحته ﷺ.

(٢) انظر الفتاوى الصراط المستقيم (٢/ ٧٤-٧٥) (٣) تحقيق الدكتور ناصر العطار.

(٣) رواه مسلم وتقدم لتبركه من ٢٠٢.

عليه السلام^(١) والنية محلها القلب، فهي عمل قلبي لا عمل لساني.

ومنها الذكر الجماعي بعد الصلاة، لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفرداً.

ومنها طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء وللأموات.

ومنها إقامة المآتم على الأموات وصناعة الأطعمة واستئجار المقرئين يزعمون أن ذلك من باب العزاء أو أن ذلك ينفع الميت، وكل هذه بدع لا أصل لها وما أنزل الله بها من سلطان.

ومنها الاحتفال بالمناسبات الدينية كمنااسبة الإسراء والمعراج ومناسبة الهجرة النبوية، والاحتفال بتلك المناسبات لا أصل له من الشرع.

ومن ذلك ما يفعل في شهر رجب كالعمرة الرجبية وما يفعل من العبادات الخاصة به كالتطوع بالصلاة والصيام فيه خاصة، فإنه لا ميزة له على غيره من الشهور لا في العمرة والصيام والذبح للنسك فيه ولا غير ذلك.

ومن ذلك الأذكار الصوفية بأنواعها، كلها بدع ومحدثات؛ لأنها مخالفة للأذكار المشروعات في صيغها وهيئاتها وأوقاتها.

ومن ذلك تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، ويوم النصف من شعبان بصيام، فإنه لم يثبت عن النبي ﷺ شيء خاص به.

ومن ذلك البناء على القبور واتخاذها مساجد وزيارتها لأجل التبرك بها والتوسل بالموتى وغير ذلك من الأغراض الشركية.

وزيارة النساء لها مع أن الرسول ﷺ لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج^(٢).

خطر البدعة:



البدع زيادة في الدين لم يشرعها الله ولا رسوله، والبدعة شر من المعصية الكبيرة، لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية فيتوب منها، والمبتدع يفعل البدعة يعتقد أنها ديناً يتقرب به إلى الله فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن وتكره إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة.

(١) آية (١٦) من سورة الحجرات.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور ورواه الترمذي في كتاب الختان بعد ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء. حديث ٢٠٤٦ وأبو داود كتاب ما جاء في الختان بعد ما جاء في منع النساء الختان حديث ١٥٧٦.



معاملة المبتدع تحكمه قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وينظر فيه إلى تحقيق المصلحة ودفع المفسدة قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

هجران أهل البدع، وترك عبادتهم، وتشجيع جنائزهم، من باب العقوبات الشرعية، وهو يختلف باختلاف الأحوال من: قلة البدعة وكثرتها، وظهور السنة وخطائها؛ وأن المشروع هو: التأليف تارة، والهجران أخرى، كما كان ﷺ يفعل، لأن المقصود دعوة الخلق بأقرب طريق إلى طاعة الله، فيستعمل الرغبة حيث تكون والرغبة حيث تكون أصلح^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «تنقسم البدع إلى قسمين: بدع مكفرة وبدع دون ذلك، وفي كلا القسمين يجب علينا أن ندعو هؤلاء الذين يتسبون إلى الإسلام ومعهم البدع المكفرة وما دونها إلى الحق، فإذا وجد العناد والاستكبار فإننا نبين باطلهم..

أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة، فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره؛ إذا كان في هجره مصلحة فعلناه، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنبناه، وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقول النبي ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». فكل مؤمن وإن كان فاسقاً فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه، لأن الهجر حينئذ ذواء^(٢).

أَسْئَلَةُ

- س١: بين حكم الاحتفال بمناسية مولد النبي ﷺ مع الاستدلال لذلك.
- س٢: ما معنى التبرك؟ وما حكم التبرك بالاماكن والآثار والأشخاص مستدلاً لذلك؟
- س٣: ما حكم التبرك بما انفصل من جسم النبي ﷺ، وما دليل ذلك.
- س٤: ما حكم التبرك بالصالحين، وما دليل ذلك؟
- س٥: ما حكم التبرك بالحجرة النبوية وغيرها من الأمكنة والآثار مستدلاً لما تقول؟
- س٦: اذكر نماذج من البدع المحدثّة في مجال العبادات.
- س٧: اذكر شيئاً من أضرار البدع.
- س٨: بين ما يجب أن يعامل به المبتدع.

(١) منهاج السنة النبوية (١/٦٥-٦٦) ص ٦٦.

(٢) مجموع الفتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/٢٩٢-٢٩٤)، رقم الفتوى: ٣٢٧.

الباب السادس

أولاً :

مذهب السلف في كرامات الأولياء .

(أ) أصناف الناس في كرامات الأولياء .

المرتب

(ب) أنواع الكرامات .

ثانياً :

صفات أهل السنة والجماعة :

المرتب

منها :

(أ) سلوك طريقة الرسول ﷺ .

(ب) اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار .

(ج) اتباع وصية رسولنا محمد ﷺ في الخلفاء الراشدين .

(د) أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(هـ) الاجتماع على الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ثالثاً :

مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة والجماعة .

مذهب السلف في كرامات الأولياء

من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء .
والكرامة: ما يجريه الله على أيدي أوليائه من خوارق العادات . فالكرامة أمر خارق للعادة، غير مألوف للأدعي .

والأولياء: جمع ولي وهو المؤمن المتقي، كما قال تعالى:
﴿الْأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَأْتُونَكَ﴾ (١٦) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٧) .
سمي ولياً اشتقاقاً من الولاء وهو المحبة والقرب، فولي الله من وإلى الله بموافقته في محبوباته والتقرب إليه بمَرْضاته . وكرامات الأولياء حق وقد دل عليها الكتاب والسنة والأثار المتواترة عن الصحابة والتابعين .

أصناف الناس في كرامات الأولياء:

الناس في كرامات الأولياء على ثلاثة أصناف:
الصف الأول: من ينفيها من المبتدعة كالمعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة، وشبهتهم: أن الخوارق لو جاز ظهورها على أيدي الأولياء لالتبس النبي بغيره إذ الفرق بين النبي وغيره - عندهم - هو المعجزة التي هي خرق العادة .
الصف الثاني: من يغلو في إثبات الكرامة من أصحاب الطرق الصوفية والقبوريين الذين يدجلون على الناس ويأتون بخوارق شيطانية كدخول النار وضرب أنفسهم بالسلاح وإمساك الشعاب وغير ذلك مما يدعونه لأصحاب القبور من التصرفات التي يسمونها كرامات .
الصف الثالث: يؤمنون بكرامات الأولياء وبشواتها على مقتضى ما جاء في الكتاب والسنة وهم أهل السنة والجماعة . ويردون على من نفاهها بحجة منع الاشتباه بين النبي وغيره، بأن هناك فوارق عظيمة بين الأنبياء وغيرهم غير خوارق العادات، وأن الولي لا يدعي النبوة ولو ادعاها فخرج عن الولاية وصار مدعياً كذاباً لا ولياً . ومن سئد الله أن يفضح الكاذب كما حصل لمسيلمة الكذاب وغيره . ويردون على من غلا في إثباتها فادعاهوا للمشعوذين والدجالين

(١) (الأنفال ٦٤-٦٣) من سورة يوسف .

- يَأْنْ هَوْلَاءَ لَيْسُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ - وَإِنَّمَا هُمْ أَوْلِيَاءُ لِلشَّيْطَانِ وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ إِمَّا كَذِبٌ وَتَدْجِيلٌ أَوْ قَتْلُهُمْ وَلَغَيْرُهُمْ وَاسْتِدْرَاجٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
ولشيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع كتاب جليل اسمه : (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) .

أنواع الكرامات:



والكرامة منها ما يكون من باب العلم والكشف بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره أو يرى ما لا يراه غيره بقظة أو مناماً، أو يعلم ما لا يعلمه غيره . ومنها ما هو من باب القدرة والتأثير .
مثال النوع الأول: قول عمر: يا سارية الجبل وهو بالمدينة وسارية في المشرق، وإخبار أبي بكر بأن يظن زوجته أثنى^(١)، وإخبار عمر بن يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة صاحب موسى وعلمه بحال الغلام .
ومثال النوع الثاني: قصة الذي عنده علم من الكتاب وإتيانه يعرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد لما شرب السم ولم يحصل له منه ضرر .
ومما ذكر في القرآن الكريم من الكرامات ما ذكره الله من حمل مريم بلا زوج وما ذكر في سورة الكهف من قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب موسى، وقصة ذي القرنين .
وما ذكر في المنقول بالسند الصحيح عن الصحابة والتابعين كروية عمر لجيش سارية وهو على مشير المدينة وجيش سارية بنهاوند بالمشرق ونذاته له: يا سارية الجبل فسمعه سارية وانزع بهذا التوجيه وسلم من كيد العدو . والكرامات موجودة في هذه الأمة إلى يوم القيامة ما وجدت فيهم الولاية بشروطها، وأولياء الله المؤمنون المتقون وهم لا يدعون الولاية، وولايتهم لا تكون سبباً في ترك شيء من الواجبات ولا تخالف أمراً من أمور الدين والله أعلم .

صفات أهل السنة والجماعة:



من صفات أهل السنة والجماعة:

١ - سلوك طريقة الرسول والسير على آثاره باطناً وظاهراً بخلاف المنافقين الذين يتبعونه في الظاهر دون الباطن، وآثار الرسول ﷺ ستة؛ وهي ما روي عنه وأثر عن من قول أو فعل أو تقرير . لا آثاره الحسية كمواضع جلوسه ونومه ونحو ذلك لأن تتبع ذلك سبب للوقوع في الشرك، كما حصل في الأمم السابقة .

(١) ثم قرأت الآية لعلكم تتقون من ١١٩

٢- ومن صفات أهل السنة اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لما خصهم الله به من العلم والفقہ فقد شاهدوا التنزيل وسمعوا التأويل وتلقوا عن الرسول بدون واسطة فهم أقرب إلى الصواب وأحق بالاتباع بعد الرسول. فاتباعهم يأتي في الدرجة الثانية بعد اتباع الرسول ﷺ. فأقوال الصحابة حجة يجب اتباعها إذا لم يوجد نص عن النبي -لأن طريقهم أسلم وأعلم وأحكم- لا كما يقول بعض المتأخرين- إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم- فيتبعون طريقة الخلف ويتركون طريقة السلف.

٣- ومن صفات أهل السنة اتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: (عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)^(١).

وأهل السنة والجماعة يتبعون طريقة الخلفاء الراشدين على الخصوص بعد اتباعهم لطريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على وجه العموم لأن النبي ﷺ أوصى باتباع طريقة الخلفاء الراشدين وصية خاصة في هذا الحديث، ففيه قرن سنة الخلفاء الراشدين بسته عليه الصلاة والسلام فدل على أن ما سته الخلفاء الراشدون أو أحدهم لا يجوز العدول عنه.

٤- ومن صفات أهل السنة أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويقدمونهما في الاستدلال بهما والافتداء بهما على أقوال الناس وأعمالهم ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله. قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ .. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٢).

٥- ومن صفات أهل السنة الاجتماع على الأخذ بالكتاب والسنة والاتفاق على الحق والتعاون على البر والتقوى، وقد أثمر هذا وجود الإجماع، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وقد عرّف الأصوليون الإجماع بأنه: اتفاق علماء العصر على أمر ديني بعد وفاة الرسول ﷺ، وهو حجة قاطعة يجب العمل به بعد الأصلين الأولين وهما الكتاب والسنة.

٦- ومن صفات أهل السنة أنهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة الكتاب والسنة والإجماع، جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين.

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح ومثق بغيره كون الحديث.

(٢) الأيهان (٨٧، ١٢٢) من سورة النساء.

مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة يتحلون بمكارم الأخلاق التي هي من مكملات العقيدة ومن ثمراتها:

- ١- فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿كَنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١) على ما توجبه الشريعة باليد ثم باللسان ثم بالقلب تبعاً للمقدرة والمصلحة، خلافاً للمعتزلة الذين يخالفون ما توجبه الشريعة في هذا فيرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج على الأئمة، والمعروف: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح. والمنكر: اسم جامع لكل ما يكرهه الله وينهى عنه.
- ٢- ويرى أهل السنة والجماعة إقامة الحج والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ويعتقدون وجوب إقامة هذه الشعائر مع ولاة أمور المسلمين سواء كانوا صالحين مستقيمين أو فساقاً فسقاً لا يخرجهم عن الملة، لجمع الكلمة والابتعاد عن الفرقة والخلاف. ولأن الوالي الفاسق لا يتعزل بفسقه ولا يجوز الخروج عليه لما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق وإراقة الدماء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الذي في إزالتها. وأما أهل البدع فيرون قتال الولاة والخروج عليهم - إذا فعلوا ما هو ظلم أو ظنوه ظلماً - ويرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣- ومن صفات أهل السنة والجماعة أنهم يحافظون على الجماعات والجمعة؛ لأن ذلك من أعظم شعائر الإسلام وطاعة لله ورسوله ﷺ في ذلك.
- ٤- ويدينون بالنصيحة للأمة فيرونها من الدين. والنصح: إرادة الخير للمتصوح له وإرشاده إلى مصالحه. فأهل السنة يريدون الخير للأمة ويرشدونها إلى ما فيه صلاحها.
- ٥- ومن صفات أهل السنة التعاون على الخير، والتألم لألم المصابين منهم فهم يعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشيك بين أصابعه»^(٢) وقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في

(١) الآية ١١٨ من سورة آل عمران.

(٢) رواه البخاري ومسلم وصححه ابن ماجه عن ١٩٥.

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى^(١).
٦- ومن صفات أهل السنة ثباتهم في مواقف الامتحان يأمرؤن بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء.

والصبر عند البلاء هو: حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب.
وبالبلاء: الامتحان بالمصائب والشدائد.

الشكر عند الرخاء: وهو صرف العبد ما أنعم الله به عليه في طاعته. والرخاء: اتساع النعمة.
الرضا بمر القضاء: ما يجري على العبد مما يكرهه كالمرض والفقر وأذى الحلق والحر والبرد والآلام.

٧- ويهتم أهل السنة بالأخلاق فيتحلون بالأخلاق الفاضلة ويرغبون فيها غيرهم فهم يدعون إلى مكارم الأخلاق، أي: أحسنها. ويدعون إلى محاسن الأعمال، كالكرم والشجاعة والصدق والأمانة ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٢) فيؤمنون به ويعملون بمقتضاها، وقوله: «أحسنهم خلقاً» أي: ألينهم والطفهم وأجملهم.

وأهل السنة يدعون إلى التعامل مع الناس بالتي هي أحسن وإلى إيتاء ذوي الحقوق حقوقهم ويحذرون من أضداد تلك الأخلاق من الكبر والتعدي على الناس؛ فهم يدعون إلى أن تصل من قطعك أي: تحسن إلى من أساء إليك، وتعطي من حرمك فتبذل العطاء (وهو التبرع والهدية ونحوها) لمن منع ذلك عنك لأن ذلك من الإحسان، وتعفو عن ظلمك فتسامح من تعدى عليك في مال أو دم أو عرض؛ لأن ذلك مما يجلب المودة ويكسب الأجر والثواب.

ويأمر أهل السنة بما أمر الله به من إعطاء ذوي الحقوق حقوقهم ببر الوالدين أي: طاعتهما في غير معصية، والإحسان إليهما بالقول والفعل. وصلة الأرحام، أي: الإحسان إلى الأقربين. وحسن الجوار، أي: الإحسان إلى من يسكن بجوارك ببذل المعروف وكف الأذى والإحسان إلى اليتامى؛ والإحسان إليهم يكون برعاية أحوالهم وأموالهم والشفقة عليهم. والإحسان للمساكين؛ والإحسان إليهم يكون بالتصدق

(١) روى البخاري ومسلم وبقول تخرجه من ١١٩.

(٢) روى أحمد ج ٢ ص ٦٥١، والترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ج ٢ ص ٦٦٦ وقال: حسن صحيح.

عليهم والرفق بهم، والإحسان إلى ابن السبيل والرفق بالمملوك ويدخل فيه المملوك من البهائم، والرفق ضد العتف وهو لين الجانب.

وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، وهو المباهاة بالمكان والمناقب من حسب ونسب والبغي وهو العدوان على الناس والاستطالة على الخلق، بالترفع عليهم واحتقارهم والوقعة فيهم بحق وبغير حق، لأن المستطيل إذا استطال بحق فقد افتخر وإن استطال بغير حق فقد بغي ولا يحل لا هذا ولا هذا. ويأمر أهل السنة بالأخلاق العالية، وهي الأخلاق الحسنة، وينهون عن سفاسفها أي رديتها وحقيرتها.

وكل ما يقوله ويفعله أهل السنة ويسامرون به وينهون عنه مما تقدم ذكره، وما لم يذكر، فقد استفادوه من كتاب ربهم وسنة نبيهم لم يتدعوه من عند أنفسهم ولم يقلدوا فيه غيرهم، فقد قال الله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرَىٰ وَالْجَارِ فِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (١).

والأحاديث في هذا كثيرة منها ما تقدم ذكره:

ومزية أهل السنة والجماعة العظمى هي أن طريقتهم دين الإسلام فهو مذهبهم وطريقهم إلى الله وأنهم عند الافتراق الذي أحجز النبي ﷺ عن حدوثه في هذه الأمة ثبتوا على الإسلام وصاروا هم الفرقة الناجية من بين تلك الفرق وهم الجماعة الثابتة على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وهو الإسلام المحض الخالص من الشوائب، ولذلك فازوا بلقب أهل السنة والجماعة، وصار فيهم الصديقون المبالغون في الصدق والتصديق، والشهداء القتلى في سبيل الله، والصالحون أهل الأعمال الصالحة. وفيهم أعلام الهدى، ومصايح الدجى أولو المناقب الماثورة، والفضائل المذكورة.

ففي أهل السنة العلماء الأعلام المتصفون بكل وصف حميد علماً وعملاً وفيهم أئمة الدين المقتدى بهم كالأئمة الأربعة وغيرهم، وهم الطائفة المنصورة، أي: وأهل السنة هم الطائفة المذكورة في الحديث:

(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) (٢)
نسأل الله عز وجل أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخذل أعداءه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

(١) الآية (٣٣) من سورة النور.

(٢) رواه مسلم في كتاب الأيمان، باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي.

أَسْئَلَة

- س١ : عرف الكرامة، واذكر أصناف الناس في الكرامة.
- س٢ : اذكر أنواع الكرامات، واذكر أمثلة لذلك.
- س٣ : لماذا يجب اتباع أقوال الصحابة إذا لم يوجد نص عن النبي ﷺ؟
- س٤ : ما الدليل على أن ما سنه الخلفاء الراشدون أو أحدهم لا يجوز العدول عنه؟
- س٥ : من صفات أهل السنة والجماعة أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلماذا؟ مع ذكر الدليل.
- س٦ : لماذا سمي أهل السنة والجماعة بذلك؟
- س٧ : ما مرتبة الإجماع في أصول التشريع؟ وما تعريفه؟
- س٨ : من صفات أهل السنة والجماعة ثباتهم في مواقف الامتحان، فبأي شيء يكون هذا الثبات؟
- س٩ : عرف الفخر والخيلاء والبغي، ولماذا ينهى عنها أهل السنة والجماعة؟
- س١٠ : ما منزلة أهل السنة والجماعة العظمى؟

